# الإمام المهدي عجل الله فرجه

## ملتقى سنن الأنبياء عليهم السلام

### وخصائص الدولة الكريمة

تقديم

الشيخ عبد الهادي الفضلي

تأليف

حبيب إبراهيم الهديبي

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

# الإمام المهدي (ع)

## ملتقى سنن الأنبياء

# الإمام المهدي (عج)

## ملتقى سنن الأنبياء

### وخصائص الدولة الكريمة

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: ..... الإمام المهدي(عج) ملتقى سنن الأنبياء

تاليف: ..... حبيب إبراهيم الهديبي

الناشر: ..... مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى: .....١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

لبنان / بيروت / الغبيري ص.ب ٢٧٨ / ٢٥

info@Omalqora.com

# تقديم

**الدكتور عبد الهادي الفضلي**

تعَـدُّ قضـية الإمام المهدي(عج) منقذاً إسلامياً، يظهر الإسلام على يديه على الدين كلـه، ويبسـط العـدل الإلهـي علـى ربـوع هـذه المعمـورة، مـن أهم قضايا العقيدة الإسلامية.

ومـا جـاء فيها من آلاف الأحاديث حتى عُدّت القضية من المتواتر تواتراً معنوياً من المسلّمات، شاهد قوي على أهمية هذه القضية.

غـير أنّهـا لـم تلـق من اهتمام الباحثين بدراستها من مختلف جوانبها، فقد بقيت فيها حلقات غير قليلة تتطلب دراستها والبحث فيها.

ومـن هـذه: العشـرات مـن الأحاديـث التي جاءت تؤكد على التشابه بين الإمام المهـدي(عج) فـي سـيرته ودعوتـه وجملـة من الأنبياء أمثال نوح ويوسف وموسى وعيسى ونبينا محمد عليه وعليهم السلام.

وهـذه الأحاديـث كلهـا تلتقي عند محور واحد، وهو أن قادة الدعاة إلى الله من أنبياء وأوصياء يسيرون على خط واحد، وهو خط الجهاد في سبيل الله، ويرمون إلى هـدف واحد هو تحقيق العدل الإلهي على ربوع هذه المعمورة وبين ناسها أجمعين متحركين داخل إطار الدعوة الإلهية في التزام تعليماتها وأحكامها.

وشـيء مهم أن انبرى فضيلة أخينا العزيز العلامة الخطيب الشيخ حبيب الهديبي فتناول مجموعة من تلكم الأحاديث المشار إليها بالدراسة شارحاً ومقارناً ومستنتجاً.

وقد وُفّق في تغطية مساحة موضوعه بمختلف أبعاده وأطرافه.

جـزاه الله تعـالى عـن هـذا العمـل الخيّر أفضل جزاء العاملين، ووفقه لما يحب ويرضى، إنه تعالى ولي التوفيق وهو الغاية.

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة وتمهيد

اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك وأنت مسدد للصواب بمنك. الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها، الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه، ولا منازع له في أمره، الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه ولا شبيه له في عظمته، الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجود يده، الذي لا تنقص خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً، إنّه هو العزيز الوهاب.

اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك. ونبيك وصفيك وحبيبك وخيرتك من خلقك، وحافظ سرك، ومبلغ رسالاتك، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين حججك على عبادك وأُمنائك في بلادك وبعد:

فإنّ الروايات التي وردت في شؤون الإمام المهدي(عج) كثيرة وكثيرة جداً، حتى ذكر بعض الأعلام أنّ عددها بلغ ستة آلاف رواية، وهذا العدد الكبير من الروايات لم يرد مثله في أي موضوع إسلامي آخر، كموضوع التوحيد مثلاً أو غيره من المواضيع العقيدية.

ولعلّ السبب في ورود هذا الكم الهائل من الروايات في شأن الإمام المهدي(عج) هو أنّ هذا الموضوع خارج على المألوف في العديد من جهاته، فاحتاج إلى هذه الكثافة من الروايات لإثباته وتأكيده. إلاّ أننا لا ندّعي صحة هذه الروايات جميعها فإنّ من الجائز أيضاً أنّ هذا الموضوع كغيره من المواضيع الإسلامية قد تعرّض لعملية الدس ووضع بعض الروايات الخيالية والخرافية التي قد يرفضها العقل من أجل تشويه الصورة لهذه الفكرة وإبرازها وكأنها خرافة لا يتقبلها العقل السليم، هذا جائز ومحتمل.

إلاّ أنّ هذا الكم الهائل من الروايات فيه دلالة على أصل الموضوع وإثبات صحته.

ومن بين هذه الروايات مجموعة من الروايات تؤكّد على زاوية معينة تتعلق

بشخص الإمام المهدي وحياته(عليه السلام) وهي جهات الشبه بين الإمام وبين عدد من الأنبياء والرسل الكرام(عليهم السلام). وقد وقفت عند بعض هذه الروايات وتناولت الحديث عن هذه الزاوية عن طريق المنبر الحسيني، فأحببت أن أخدمها بعض الشيء ـ متطفلاً ـ عن طريق كتابة هذا البحث المتواضع بقدر ما أستطيعه وما أملكه من آليات متواضعة، حيث لم أجد ـ حسب علمي ـ من كتب عن هذه الزاوية من شؤون الإمام المهدي(عج) ـ ببحث مستقل ـ والأمر الذي لابدّ من الإشارة إليه هو أنّ الروايات ـ مدار البحث ـ قد ذكرت أنّ وجه الشبه الواحد قد يكون بين الإمام(عليه السلام) وبين أكثر من نبي من الأنبياء المذكورين في تلك الروايات. كمسألة خفاء الولادة مثلاً فإنّها ذكرت لموسى(عليه السلام) وكذلك ذكرت لإبراهيم الخليل(عليه السلام) وكمسألة الغيبة التي ذكرت ليوسف ولموسى ولعيسى(عليهم السلام) وكمسألة طول العمر التي ذكرت لآدم ونوح(عليهما السلام) وهكذا.

غير أنّ الروايات تريد أن تؤكد على حقيقة واحدة، وهي أنّ كل ما جرى ويجري في حياة الإمام المهدي الموعود(عج) قد جرى له مثيل في حياة نبي أو أكثر إلاّ أنّه قد تختلف جهة الشبه في بعض تفاصيلها ولكن الجامع المشترك هو كون تلك الجهة خارجة عن العادة المألوفة في حياة الناس سواء في حياة الإمام المهدي أو في حياة ذلك النبي أو أُولئك الأنبياء (عليهم السلام).

لذلك سوف أكتفي في متابعتي لهذه الروايات بذكر ما اشتهر به بعض هذه المجموعة من الأنبياء الكرام(عليهم السلام). كذلك لم يكن في القصد استقصاء جميع هذا الصنف من الروايات، بل اكتفيت بذكر عشر روايات منها فقط كنموذج لهذا القسم من الروايات التي تتحدث عن نقاط الاشتراك بين الإمام المهدي(عج) والعديد من الأنبياء(عليهم السلام)، كما أنّي ـ وفي سياق الموضوع وعلى ضوء النصوص الواردة عن المعصومين(عليهم السلام) ـ تحدثت ـ وبشكل مختصر ـ عن خصائص دولة الإمام(عليه السلام) الدولة الكريمة.

ولا يسعني هنا إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من العلمين الحجتين سماحة السيد علي السيد ناصر السلمان، وسماحة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي على تفضلهما بمراجعة هذا البحث المتواضع، كما تفضل سماحة الشيخ بكتابة المقدمة، سائلاً المولى تعالى أن لا يحرم الأُمة من أفضالهما كما أرجو منه تعالى أن لا يحرمني وإياهما من ثوابه بجاه وليه وحجته على عباده أمل البشرية وجاه آبائه وأجداده الكرام المعصومين، إنه ولي التوفيق والقبول وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

حبيب إبراهيم الهديبي

١٤٢٥/٢/١٠هـ

## نماذج من الروايات:

١ ـ إكمال الدين بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام قال:

**(في التاسع من ولدي سنّة من يوسف، وسنّة من موسى عليه السلام وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله تعالى أمره في ليلة واحدة)**[1].

٢ ـ إكمال الدين بسنده عن سعيد بن جبير. قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول:

**(في القائم منّا سُنن من سبعة أنبياء سنّة من أبينا آدم عليه السلام، وسنّة من نوح عليه السلام، وسنّة من إبراهيم عليه السلام، وسنّة من موسى عليه السلام، وسنّة من عيسى عليه السلام، وسنّة من أيوب عليه السلام وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله.**

**فأمّا من آدم ونوح فطول العمر، وأمّا من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس،وأمّا من موسى فالخوف والغيبة، وأمّا من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأمّا من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأمّا من محمّد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف)**[2].

٣ ـ إكمال الدين بسنده عن أبي بصير قال: إن أبا جعفر عليه السلام يقول:

**(في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء عليهم السلام سنّة من موسى، وسنة من عيسى، وسنّة من يوسف، وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله.**

**فأمّا من موسى فخائف يترقب، وأمّا من يوسف فالحبس، وأمّا من عيسى فيقال: إنه مات ولم يمت، وأمّا من محمد صلى الله عليه وآله فالسيف)**[3].

٤ ـ إكمال الدين بسنده عن محمد بن مسلم الثقفي الطحان قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله فقال لي مبتدئاً:

---

(١) إكمال الدين: ٣٠٩ والبحار ٥١: ١٣٣ وإعلام الورى: ٤٧٢.

(٢) إكمال الدين: ٣١٤ والبحار ٥١: ٢١٧ وإعلام الورى: ٤٧٤.

(٣) إكمال الدين: ٣١٧.

(يا محمد بن مسلم إنّ في القائم من آل محمد ﷺ شبهاً من خمسة من الرسل: يونس بن متّى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلوات الله عليهم.

فأمّا شبهه من يونس بن متى فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد كبر السن.

وأما شبهه من يوسف بن يعقوب عليه السلام فالغيبة من خاصته وعامته، واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب النبي عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته.

وأمّا شبهه من موسى فدوام خوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته، وتعب شيعته من بعده ممّا لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عز وجل في ظهوره ونصره وأيّده على عدوه.

وأمّا شبهه من عيسى فاختلاف من اختلف فيه، حتى قالت طائفة منهم: ما ولد وطائفة منهم قالت: مات، وطائفة قالت: قتل وصلب. وأمّا شبهه من جده المصطفى محمد ﷺ فتجريده بالسيف وقتله أعداء الله تعالى وأعداء رسوله والجبّارين والطواغيت، وأنه يُنصر بالسيف والرعب، وأنه لا ترد له راية...)[1].

٥ ـ إكمال الدين بسنده عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

(في صاحب هذا الأمر سنّة من موسى، وسنّة من عيسى، وسنّة من يوسف، وسنّة من محمّد. فأمّا من موسى فخائف يترقب، وأمّا من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى وأمّا من يوسف فالسجن والغيبة، وأمّا من محمّد ﷺ فالقيام بالسيف وسيرته وتبيين آثاره...)[2].

٦ ـ إكمال الدين بسنده عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول:

(في القائم شبه من موسى بن عمران عليه السلام فقلت: وما شبه موسى بن عمران؟ فقال:

---

(١) إكمال الدين: ٣١٨ والبحار ٥١: ٢١٧- ٢١٨ وإعلام الورى: ٤٧٣- ٤٧٤.

(٢) إكمال الدين: ٣٢٠، البحار ٥١: ٢١٨.

خفاء مولده، وغيبته عن قومه، فقلت: وكم غاب موسى بن عمران عن قومه وأهله؟ فقال: ثماني وعشرين سنة)[١].

٧ ـ إكمال الدين بسنده عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

إنّ في القائم شبه من يوسف قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته فقال لي: ما تنكر من ذلك هذه الأُمة أشباه الخنازير، إن إخوة يوسف كانوا أسباطا أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم: أنا يوسف فما تنكر هذه الأُمة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات يريد أن يبيّن حجّته لقد كان يوسف إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوما فلو أراد الله عز وجل أن يعرّفه مكانه لقدر على ذلك.

والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأُمة أن يكون الله عز وجل يفعل بحجّته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بُسطهم وهم لا يعرفونه، حتى يأذن الله عز وجل أن يعرّفهم بنفسه كما أذن ليوسف حتى قال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۞ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَـٰذَا أَخِي...﴾[٢]، [٣].

٨ ـ إكمال الدين بسنده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

(إنّ في صاحب هذا الأمر سنن من الأنبياء عليهم السلام، سنّة من موسى بن عمران، وسنّة من عيسى، وسنّة من يوسف، وسنّة من محمّد صلوات الله عليهم.

فأمّا سنة من موسى بن عمران فخائف يترقب، وأمّا سنّة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى عليه السلام، وأمّا سنّة من يوسف فالستر يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه، وأمّا سنّة من محمد صلى الله عليه وآله فيهتدي بهداه ويسير بسيرته)[٤].

---

(١) إكمال الدين: ٣٢٩ والبحار ٥١: ٢١٦.

(٢) يوسف: ٨٩ و ٩٠.

(٣) إكمال الدين: ٣٣٠ والبحار ٥١: ١٤٢ وإعلام الورى: ٤٧٦.

(٤) إكمال الدين: ٣٣٨- ٣٣٩ والبحار ٥١: ٢٢٤ وفي صفحة ٢١٨ قريب منه.

٩ ـ إكمال الدين بسنده عن سدير الصيرفي، قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير، وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسح خيبري مطوق بلا جيب، مقصّر الكمّين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى، ذات الكبد الحرّى... فقلنا: يا بن رسول الله كرّمنا وفضّلنا بإشراكك إيانا في بعض ما أنت تعلمه من علم ذلك.

قال: إنّ الله تبارك وتعالى أدار للقائم منّا ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل عليهم السلام: قدّر مولده تقدير مولد موسى عليه السلام، وقدّر غيبته تقدير غيبة عيسى عليه السلام، وقدر إبطاءه بتقدير إبطاء نوح عليه السلام، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح ـ أعني الخضر عليه السلام ـ دليلاً على عمره، فقلنا: اكشف لنا يا ابن رسول الله عن وجوه هذه المعاني.

قال عليه السلام: أمّا مولد موسى عليه السلام فإنّ فرعون لمّا وقف على أنّ زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه وأنه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفا وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تبارك وتعالى إيّاه.

كذلك بنو أُميّة وبنو العباس لما وقفوا على أنّ زوال ملك الأُمراء والجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم، ويأبى الله عزّ وجلّ أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلاّ أن يتم نوره ولو كره المشركون.

وأمّا غيبة عيسى عليه السلام فإنّ اليهود والنصارى اتّفقت على أنه قتل فكذّبهم الله جلّ ذكره بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[1]، كذلك غيبة القائم فإنّ الأُمة ستنكرها لطولها، فمن قائل يهذي بأنه لم يولد، وقائل يقول: إنه ولد ومات وقائل يكفر بقوله: إنّ حادي عشرنا كان عقيما، وقائل يمرق بقوله: إنّه يتعدّى

(١) النساء: ١٥٧.

إلى ثالث عشر فصاعداً، وقائل يعصي الله بقوله: إنّ روح القائم ينطق في هيكل غيره. وأمّا إبطاء نوح عليه السلام فإنّه لمّا استنزلت العقوبة على قومه من السماء بعث الله تبارك وتعالى جبرئيل الروح الأمين معه بسبع نويات فقال: يا نبيّ الله إنّ الله تبارك وتعالى يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي لست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلاّ بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجّة فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك، فإني مثيبك عليه واغرس هذه النوى فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشّر بذلك من تبعك من المؤمنين.

فلمّا نبتت الأشجار وتأزّرت وتسوّقت وتغصّنت وأثمرت وزها الثمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله سبحانه وتعالى العدة، فأمر الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكد الحجّة على قومه، فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به، فارتدّ منهم ثلاث مئة رجل وقالوا: لو كان ما يدّعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربّه خلف.

ثم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كلّ مرّة بأن يغرسها مرة بعد أُخرى إلى أن غرسها سبع مرّات، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين، ترتد منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عاد إلى نيّف وسبعين رجلاً فأوحى الله تبارك وتعالى عند ذلك إليه، وقال: يا نوح الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك حين صرح الحقّ عن محضه وصفا [الأمر والإيمان] من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة، فلو أنّي أهلكت الكفّار وأبقيت من أرتدّ من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كنت صدّقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك، واعتصموا بحبل نبوّتك بأن أستخلفهم في الأرض وأُمكّن لهم دينهم وأُبدّل خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشكّ من قلوبهم، وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن منّي لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدّوا وخبث طينتهم وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق، وسنوح الضلالة، فلو أنهم تسنّموا منّي

الملك الذي أوتي المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لنشقوا روائح صفائه ولاستحكمت سرائر نفاقهم وتأبّدت حبال ضلالة قلوبهم، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة، وحاربوهم على طلب الرئاسة والتفرّد بالأمر والنهي، وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب كلاّ ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[1].

قال الصادق(ع): وكذلك القائم فإنه تمتدّ أيام غيبته، فيصرح الحق من محضه، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم(عج)...)[2].

١٠ ـ البحار بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله(ع) يقول:

(إنّ سنن الأنبياء(ع) بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم منّا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة.

قال أبو بصير: فقلت له: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإماء، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون..)[3].

## كلمة حول هذه الروايات:

هذه مجموعة من الروايات الواردة في شأن الإمام المهدي(عج) والتي تؤكّد على جهات التشابه بين الإمام وبين عدد من الأنبياء والرسل، ولم يكن غرضي استيعاب هذا النوع من الروايات، وإنما ذكرت شطراً منها، وهي هذه الروايات العشر كنموذج

---

(١) هود: ٣٧.

(٢) إكمال الدين: ٣٤٠- ٣٤٣ والبحار ٥١: ٢١٩-٢٢٢.

(٣) إكمال الدين ٢: ٣٤٥، البحار ٥١: ١٤٦.

لهـذا الـنوع من الروايات المتعلقة بالإمام(عليه السلام) ولو فرض أنّ هذه الروايات لا ترتقي مـن حيـث السـند إلـى درجة الإثبات المصطلح عليه في علم الدراية والرجال فإنّ بالإمكان الاعتماد عليها في هذا المجال وذلك للملاحظات التالية:

١- لأنها لاتتعارض مع شيء من الثوابت الاعتقادية والإيمانية في الفكر الإسلامي.

٢- كذلـك لا تتعارض مع ظواهر القرآن الكريم، بل هي منسجمة تمام الانسجام مع الآيات القرآنية التي تتحدث عن شؤون الرسل والأنبياء وحياتهم.

٣- ولكونها تنسجم كذلك بل تؤيد نظرية أهل البيت(عليهم السلام) في الإمامة بأنها منصب إلهي وأنها ـ أي الإمامة ـ هي الامتداد الطبيعي والوظيفي للنبوة ودورها في حياة البشرية، فكل ما يمكن جريانه وحدوثه في شأن الأنبياء هو ممكن وجائز في حياة الأئمة والأوصياء إذ لا فرق ـ في مدرسة أهل البيت ـ بين النبي والإمام إلاّ في مسألة واحدة، وهي استقبال النبي والرسول لعملية الوحي التشريعي دون الإمام وماعدا ذلك فإنّ الإمام يتمتع بكل ما يتمتع به النبي من خصائص وكمالات وما يقوم به من أدوار في حياة البشرية، وهذه الروايات تؤيد هذا المعنى وتؤكده.

٤- كـون هـذه الروايات قد صدرت من الأئمة(عليهم السلام) قبل حدوث الغيبة وقد أثبتها الرواة من أصحاب الأئمة في أُصولهم التي دوّنوها في ذلك العهد، أمثال الحسن بن محبوب السـراد فـي كـتاب مشـيخته المشـهور المـتداول عـند الشيعة قبل ولادة المهدي(عج) بنصف قرن تقريباً، وأمثال محمد بن عمير (ت ٢١٧) وصفوان بن يحيى (ت ٢١٠) ومحمـد بـن سـنان (ت ٢٢٠) والحسـن بـن علـي بن فضال (ت ٢٢٤) وغيرهم من أصحاب الإمامين الصادقين (عليهما السلام).

وهـذا ما أشار إليه الشيخ الصدوق (قدس سره) في كتابه (إكمال الدين) الذي ألفه بعد حدوث الغيبة بخمس وعشرين سنة: يقول:

(إن الأئمـة(عليهم السلام) قـد أخـبروا بغيبـته(عج) ووصـفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم وأسـتحفظ فـي الصحف ودون في الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتي سنة

أو أقل أو أكثر فليس أحد من أتباع الأئمة عليهم السلام إلاّ وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته ودونه في مصنفاته، وهي الكتب التي تعرف بالأصول مدونة، مستحفظة عند شيعة آل محمد من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين، وقد أخرجت ما حضرني من الأخبار المسندة في الغيبة من هذا الكتاب[١] في موضعها، فلا يخلو حال هؤلاء الأتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا علموا الغيب بما وقع الآن من الغيبة، فألفوا ذلك في كتبهم ودونوه في مصنفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللب والتحصيل أو أن يكونوا قد أسسوا في كتبهم الكذب فاتفق مر لهم كما ذكروا وتحقق ما وصفوا من كذبهم على بعد ديارهم واختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم، وهذا أيضاً محال كسبيل الوجه الأول، فلم يبق في ذلك إلاّ أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام إلى آخر المقامات ما دونوه في كتبهم وألفوه في أصولهم، وبذلك وشبهه فلح الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا)[٢].

وقال الشيخ الطبرسي في إعلام الورى:

(وإذا كانت أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجة، بل زمان أبيه وجده حتى تعلقت الكيسانية بها في إمامة ابن الحنفية والناووسية والممطورة[٣] في أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، وخلدها المحدثون من الشيعة في أصولهم المؤلفة في أيام السيدين الباقر والصادق عليهما السلام وآثروها عن النبي والأئمة واحداً بعد واحد صح بذلك القول في إمامة صاحب الزمان بوجود هذه الصفة والغيبة المذكورة في دلائله وأعلام إمامته)[٤].

---

(١) يعني كتاب (إكمال الدين).

(٢) إكمال الدين: ١٩، ط. النجف.

(٣) الواقفية.

(٤) إعلام الورى: ٤٨٨.

وقال (ره) بعد ذكره لعدد من هذه الروايات في المقام:

(والأخبار في هذا الباب كثيرة ظاهرة في الشيعة متواترة ثابتة في أصولها المتقدمة لزمان الحسن العسكري عليه السلام، وذلك أصح دليل وبرهان على إمامة القائم ابن الحسن عليه السلام)[1].

فعلى هذا لا يمكن الادعاء بأنّ هذه الروايات أنما وضعت بعد وجود فكرة الغيبة لدعمها وتأكيدها من قبل من يؤمن بها، بل إنّ وجودها ليكون دليلاً على صحة الاعتقاد بالإمام وغيبته؛ لأنها نوع من الإخبارات الغيبية عن الحدث قبل وقوعه.

والروايات التي أثبتناها فيما مضى جزء من هذه الروايات المشار إليها من هذين العلمين. ولأجل الملاحظات السابقة اعتمدناها هنا من غير حاجة إلى دراستها من الناحية السندية.

## حقيقتان أكدت عليهما هذه الروايات:

إنّ المتأمل في هذه المجموعة من الروايات لابدّ أن يثار أمام ذهنه هذا التساؤل: ما هي فلسفة هذا التأكيد على هذه النقطة من قبل المعصومين ـ أعني بيان وجوه الشبه بين الإمام المهدي(عج) وبين هذه المجموعة من الأنبياء عليهم السلام.

ويمكن أن نقول: إنّ من أهم ما تؤكد عليه هذه الروايات وتريد بيانه من خلال تأكيدها على هذه النقطة بيان حقيقتين مهمتين.

الحقيقة الأولى: هي تأكيد الرابطة العضوية والوثيقة بين الإمام ودوره وبين الأنبياء وأدوارهم ومواقفهم عليهم السلام، فإنّ دور الإمام عليه السلام يمثل النتيجة والثمرة الأخيرة لتلك الجهود وذلك الجهاد الذي قام به الأنبياء في تاريخ البشرية والأخذ بها إلى الغاية والهدف الأسمى من وجودها.

توضيح ذلك: إنّ الله تبارك وتعالى أنما خلق البشرية لغاية التكامل، واقتضت حكمته البالغة أنّ البشرية تسعى لهذه الغاية عن طريق الاختيار والإرادة الحرة في

---

(١) إعلام الورى: ٤٨٣.

ظل التربية الإلهية، وهذا ما تعنيه الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وذلك يقتضي أنّ الله تعالى يوجد في حياة البشرية خطاً يمكن أن نسميه خط العصمة المتمثل في الأنبياء والأوصياء. هذا الخط الذي يفتح للبشرية آفاق الهداية ويوفر لها عوامل الاستقامة للوصول إلى هدفها النهائي الذي تشير إليه الآية الكريمة السابقة بصورة اختيارية وإرادة حرة.

وعلى هذا الأساس لابدّ من توفر العصمة في هذا الخط؛ لأنه ما لم تتوفر فيه العصمة فإنّ البشرية سوف تتعرض إلى الانحراف الكامل في مسيرتها الطويلة، ومن ثم فإنّها لا تصل إلى الغاية التي ما خلقت إلاّ من أجل الوصول إليها، ولكن بوجود خط العصمة تبقى البشرية مهما حدث لها من الانحرافات وخروج عن الخط المرسوم تبقى محتفظة بخط الاستقامة، وإن كان قد سقط ويسقط الأكثرية الساحقة من البشر في هذه المسيرة المليئة بالمشقة والمعاناة، ويتضح ـ من خلال وجود خط العصمة ـ مدى تعرضها للانحراف، فهو يشكل المقياس والميزان لكل ما يحدث في مسيرة البشرية من حقّ أو باطل واستقامة وانحراف.

وتبقى البشرية تتربّى في المدرسة الإلهية لتصل إلى النتيجة النهائية، وهي الوصول إلى مرحلة العبودية التامة لله، وبذلك يتحقق التكامل الذي يريده الله تعالى وإن كان لا يمثل هذه النتيجة إلاّ الأقلية من البشرية.

وهذا التكامل المنشود لا يمكن أن يتحقق إلاّ إذا تحققت جوانبه بأكملها، وهي كما يلي:

الجانب الأول: هو إيجاد الفرد الكامل، وهو الفرد الذي ربّى نفسه تربية إلهية تامة من خلال الالتزام الكامل بشريعة السماء، حيث لم يتأثر بأي مؤثر خارج تعاليم الله تعالى حتى يصبح الإنسان العادل الكامل الذي يعيش الحرية من كافة الانحرافات العاطفية والمصالح الضيقة.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

الجانب الثاني: إيجاد المجتمع الكامل والبشرية الكاملة المتمثلة في مجموعة الأفراد الذين يعيشون على مستوى العدل والإخلاص والتجرد من كل شيء سوى عبادة الله وحده، تلك العبادة التي تتضمّن تربية الفرد والمجتمع والارتباط بكل شيء على مستوى العدل الإلهي.

الجانب الثالث: إيجاد الدولة العادلة التي تحكم المجتمع بالحق والعدل بشريعة الله، وتطبق أحكامه تطبيقاً كاملاً فتكون هذه الدولة هي المسؤولة الأساسية عن السير قدماً بالمجتمع والبشرية نحو زيادة التكامل في الطريق الطويل غير المتناهي الخطوات. وهذا هو معنى العبادة المقصودة في الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وكل ما كان على خلاف ذلك فهو تقصير في العبادة الحقيقية لله تبارك وتعالى[1].

ومن الواضح أنّ البشرية بَعدُ لم تصل إلى هذه الغاية الكبرى، فهي إذاً سوف تصل إليها مستقبلاً، ويتحقق ذلك تحت قيادة الإمام المهدي الموعود الذي تجسد فيه خط العصمة.

وعلى هذا فإنّ كافة الأنبياء، بل كافة المعصومين عليهم السلام وسائر الدعاة الإلهيين لهم دور التمهيد لدولة الإمام المهدي من خلال أدوارهم وجهادهم في دفع البشرية نحو ذلك اليوم الموعود، وبهذا نفهم الارتباط الوثيق للإمام عليه السلام ودوره بالأنبياء والرسل وأدوارهم ورسالاتهم، وهذه هي الحقيقة الأولى التي أراد أئمة أهل البيت عليهم السلام التأكيد عليها عن طريق هذه الروايات التي تتحدث عن وجوه الشبه بين الإمام المهدي وبين الأنبياء والرسل.

الحقيقة الثانية: هي أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام أرادوا من خلال حديثهم وتأكيدهم على هذه النقطة ـ أعني وجوه الشبه ـ أن يرفعوا حالة الاستغراب والاستبعاد عن

---

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٢٣٤ـ ٢٣٥ بتصرف.

ذهنية الإنسان المسلم تجاه الجوانب التي خرجت عن المألوف في حياة الإمام المهدي(عج)، حيث إنّ شأنه كشأن أي داعية إلهي تحدث في حياته الخوارق والأحداث الغير المألوفة عادة حينما تقتضي الحكمة الإلهية ذلك وحسب ما تحتاج إليه حركة التغيير الاجتماعي والتربية الإلهية للبشرية.

وبما أنّ الإمام المهدي(عج) قد قُدّر له قيادة أعظم دور في حياة البشرية وإقامة الدولة الإلهية التي تمثل الثمرة النهائية لجهود وجهاد الدعاة الإلهيين من أنبياء وأوصياء ومن سار على خطهم، والتي تمثل الغاية المقدسة لإيجاد البشرية، فإنّ من المعقول أن يحدث في حياة هذا الإمام من الجوانب الغيبية وغير العادية ما يتناسب مع عظمة الدور الذي أُنيط به عليه السلام. وقد اجتمعت له الأحداث التي فرقت على الأنبياء، كما سوف يتضح من خلال متابعتنا لهذه النقاط على ضوء هذه الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام في هذا المجال.

فإذاً ليس الإمام المهدي(عج) بدعاً من الأولياء الذين يزودهم الله تعالى بإمداداته الغيبية، فيخرجون في بعض الجهات عمّا يألفه الناس من الحياة الطبيعية والعادية.

فلماذا هذا الاستغراب والاستبعاد لما حدث للإمام المهدي(عج) من جهات غيبية بينما كل جهة حدثت في حياته من هذا النوع قد حدث مثيل لها في حياة نبي أو أكثر من أنبياء الله، فإنّ خط النبوة أو خط العصمة مليء بالأحداث الاستثنائية،والإمام يمثل في دوره جميع الأنبياء والرسل فهو وارثهم جميعاً، وكل استبعاد لشيء من ذلك تجاه الإمام عليه السلام ينسحب أيضاً على ما جرى في حياة سائر الأنبياء؛ لأنّ الملاك واحد في الجميع وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد.

لذلك سوف نكتفي في متابعتنا لهذه الروايات بذكر ما اشتهر به بعض هذه المجموعة من الأنبياء الكرام عليهم السلام.

# ملتقى الإمام مع النبي موسى عليه السلام

## الشبه في الولادة

١- قال الإمام الصادق عليه السلام: (في القائم شبه من موسى بن عمران عليه السلام فقلت: وما شبه موسى بن عمران؟ فقال: خفاء مولده وغيبته عن قومه).

**الرواية السادسة**

٢- قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: (وأما سنة موسى فدوام خوفه، وطول غيبته وخفاء ولادته).

**الرواية الرابعة**

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: (أما مولد موسى عليه السلام فإنّ فرعون لما وقف على أنّ زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه، وأنه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل

في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تبارك وتعالى إياه. كذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على أنّ زوال ملك الأمراء الجبابرة منهم على يد القائم ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم، ويأبى الله عز وجل أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلاّ أن يتم نوره ولو كره المشركون).

## الرواية التاسعة

## ١- ولادة موسى عليه السلام وظروفها:

هناك تشابه كبير بين الظروف التي ولد فيها الإمام المهدي(عج) والظروف التي ولد فيها نبي الله موسى عليه السلام من حيث الصعوبة وقوة التحديات التي واجهتها كل من أسرة الإمام وأسرة النبي موسى عليه السلام من فراعنة العصرين.

أما الظروف التي كانت تحيط بأسرة النبي موسى عليه السلام فنستطيع أن نستوحيها من الآيات القرآنية التي تتحدث عن هذه المرحلة من حياة النبي موسى عليه السلام، إضافة إلى الروايات التي توضح بعض الجوانب لتلك الظروف القاسية التي ولد في أثنائها كليم الله عليه السلام.

قال تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۞ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[1].

في هذه المجموعة من الآيات الكريمة أجمل القرآن الكريم تصوير الظروف

---

(١) القصص: ٤- ١٤.

الصعبة والحرجة التي ولد فيها النبي موسى عليه السلام، حيث إنّ الطغيان قد بلغ ذروته آن ذاك والمتمثل في سياسة فرعون، حيث بلغ به الاستكبار إلى مستوى أن ادّعى الربوبية من دون الله ونادى على أهل مصر ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ وقد مزق المجتمع إلى شيع وطوائف؛ لئلا يتوحد في مواجهته ومعارضته، وكان الاستضعاف والاستعباد من فرعون منصبّاً على طائفة واحدة من تلك الطوائف، وهم بنو إسرائيل؛ لأنّ فرعون يعتبر هذه الطائفة هي التي تشكل الخطر على حكمه ودولته. كما هي كذلك.

وقد وصلت إلى مسامع فرعون نبوءة بأنّ شخصاً إسرائيلياً قد أطل عصر ولادته وظهوره، وهو الذي سوف يتم تحت قيادته القضاء على فرعون وطغيانه.

وهذه النبوءة تمثل جزءاً من تراث النبوة السابقة على نبوة موسى، وهي بشارة الأنبياء بموسى ورسالته.

فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

**(لما حضرت يوسف الوفاة جمع شيعته وأهل بيته، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم أخذ يحدثهم بشدة تنالهم، يقتل فيها الرجال، وتشق فيها بطون الحبالى، وتذبح الأطفال حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوى بن يعقوب، وهو رجل أسمر طويل، ثم وصفه لهم بنعته. وظل بنو إسرائيل يتعاهدون هذه الوصية، وعندما طال الأمد استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم شرارهم، فسلط الله عليهم القبط يعذبونهم، وفي زمان فرعون موسى تفنن في تعذيبهم، وكان يستعبدهم وصنفهم في أعماله، فصنف يبنون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يتولون الأعمال القذرة وليس معنى ذلك أنّ وصية يوسف بموسى قد ذهبت أدراج الرياح فمن بين بني إسرائيل من كان يحفظها عن ظهر قلب ويورثها لأبنائه جيلاً بعد جيل... وعندما شاع أمر هذه الوصية في عهد فرعون موسى تاجر بها كهان الدجل، فنصبوا أنفسهم في مقام العالمين بأخبار الغيب.. وفقا لأطروحة الكهنة التي دثروها بخوفهم على فرعون.**

**ووفقاً لما كان يذكره بنو إسرائيل عن موسى الذي بشر به يوسف أمر فرعون بقتل**

كل غلام يولد في بني إسرائيل)[1].

وكل هذه المحاولات التي يمارسها فرعون في شأن بني إسرائيل من أجل القضاء على هذا المولود الإسرائيلي المرتقب أنما كان في ظنه أنه قادر على تحدي الإرادة الإلهية للوقوف أمامها بأسلوب التصفية للمواليد الإسرائيليين، إلاّ أنّ البشرية كل البشرية أضعف من أن تقف أمام إرادة الخالق تبارك وتعالى.

فلما كانت الإرادة الإلهية قد اقتضت وجود هذا المولود كشرط من شروط تحقق الأهداف الإلهية الكبرى في حياة البشرية، فلابد أن يأتي إلى الحياة ويضطلع بدوره ومتى توقف ذلك على تدخل اليد الغيبية فإنّ ذلك سوف يتم بالطريقة التي يريدها الباري جلّ وعلا. وتتضح يد الغيب في هذا الجو المليء بالخوف والقتل والاستعباد الذي يعيشه بنو إسرائيل، حيث إنّ الله تعالى قد أخفى حمل أم موسى بموسى وولد عليه السلام في هذا الظرف الصعب إلاّ أنّ رعاية الله من ورائه.

في تفسير القمي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام:

(فلما وضعت أم موسى بموسى نظرت إليه وحزنت عليه واغتمت وبكت وقالت: يذبح الساعة، فعطف الله عزّ وجلّ قلب الموكلة بها عليه فقالت لأم موسى: مالك قد اصفر لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي. فقالت: لا تخافي. وكان موسى لا يراه أحد إلاّ أحبه، وهو قول الله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فأحبته القبطية الموكلة بها وأنزل الله على أم موسى التابوت، ونوديت: ضعيه في التابوت فألقيه في اليم وهو البحر ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فوضعته في التابوت وأطبقته عليه وألقته في النيل، وكان لفرعون قصر على شط النيل منتزه، فنظر من قصره ومعه آسية امرأته إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج والرياح تضربه حتى جاءت به إلى باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه فأخذ

(١) الانحرافات الكبرى: ١٩٨- ١٩٩.

التابوت ورفع إليه، فلما فتحه وجد فيه صبياً، فقال: هذا إسرائيلي فألقى الله له في قلب فرعون محبة شديدة، وكذلك في قلب آسية وأراد فرعون أن يقتله، فقالت آسية: ﴿لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

وعندما التقطه آل فرعون حرّم الله عليه المراضع فجعله لا يقبل ثدي مرضع فكلما أتوا له بمرضع لترضعه لم يقبل ثديها حتى جاءت أُخته ورأت الحال ـ وكانت أمه قد أمرت أخته حين ألقت به في النيل أن تتبع أثره ـ قالت لآل فرعون: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ فأجابوها بالقبول، فدلتهم على أمه فسلموه إليها ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فعاش موسى في قصور فرعون حتى أصبح رجلاً برغم أن فرعون يواصل البحث عنه للقضاء عليه.

وإذا صح لنا أن نسمّي هذا تحدّياً من الله تعالى لفرعون، فإنّ الله تعالى أراد أن يعطي فرعون وأمثاله من الطواغيت برهاناً عملياً على ضعف الإنسان أمام إرادته تعالى، مهما كان في يده من أسباب وقوة، فإنّ موسى عليه السلام ولد ونشأ وتربى في قصور فرعون ورده الله إلى أمه ونشأ في حجرها في وسط العائلة الفرعونية مع استمرار فرعون في قتل المواليد الذكور من بني إسرائيل من أجل القضاء على المولود المرتقب، إلاّ أنّ أمر الله قد تم وبعث موسى عليه السلام بالرسالة، وكانت نتيجة المواجهة بينه بعد بعثته وبين فرعون وطغيانه أن أهلك الله تعالى فرعون وملأه وانتهى ملكه وسلطانه.

ومما تقدم نخلص إلى النتائج التالية:

أ) إنّ نبي الله موسى عليه السلام تحداه فرعون عصره قبل ولادته ومجيئه إلى الحياة عندما وصلت إلى سمعه نبوءة ولادة شخص إسرائيلي يكون زوال ملكه على يديه.

ب) ولد موسى عليه السلام في ظروف صعبة وفي غاية الحرج بالنسبة إلى بني إسرائيل

---

(١) تفسير القمي٢: ١١٢.

حيث كانوا يعيشون حالة الاستضعاف والإذلال والاستعباد.

جـ ) إنّ موسى عليه السلام ولد من الطائفة المستضعفة من بين تلك الطوائف التي يتكون منها المجتمع الفرعوني.

د) تدخل يد الغيب في رعاية موسى والحفاظ على حياته ليتحقق الوعد الإلهي للمستضعفين بالنصر والتمكين في الأرض.

هـ ) رغم إنّ فرعون كان يستهدف القضاء على موسى إلاّ أنه قد تربى ونشأ في قصره وتحت إشرافه حتى تحقق وعد الله وتمت كلمته تعالى.

## ٢- ولادة الإمام المهدي (عج) وظروفها:

مما تقدم أخذنا ـ وبشكل سريع ـ صورة عن الظروف التي ولد فيها نبي الله موسى عليه السلام وكيف تدخلت يد الغيب في الحفاظ على حياة هذا النبي الكريم؛ ليتم بذلك الوعد الإلهي في تمكين المستضعفين وتحقيق الأهداف الإلهية الكبرى.

وحينما نرجع إلى الروايات التاريخية التي تتحدث عن الأجواء والظروف التي ولد فيها الإمام المهدي (عج) فإنا نجد الصورة متقاربة ـ وإلى حد بعيد ـ مع ما أعطته النصوص السابقة عن ظروف ولادة نبي الله موسى عليه السلام.

فالإمام يشترك مع موسى عليه السلام في هذه الجهة وهي:

كما حصل لموسى عليه السلام من التحدي من قبل فرعون عصره قبل ولادته ومجيئه إلى الحياة، فكذلك قد حصل للإمام المهدي من حكام بني العباس. ويتمثل ذلك في أسلوب التعامل من الحكام العباسيين مع الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حياته وتعاملهم مع أسرته بعد وفاته فقد (كانت الإرهاصات المسبقة والتبليغات المتوالية عن الإمام المهدي متتابعة متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله. رواها مؤلفو الصحاح، وهم معاصرون أو متقدمون على هذه الفترة ـ عصر الإمام الحسن العسكري ـ[1] ومتتابعة

(١) راجع مسند أحمد ١: ٨٤ و٣: ٢١- ٢٦-٣٧- ٥٢ و٥: ٢٧٧ ط.مؤسسة قرطبة، مصر. وانظر سنن الترمذي

ومتواترة عن الأئمة عليهم السلام يرثها أصحابهم جيلاً بعد جيل حتى أصبحت من ضروريات المذهب، بل من قطعيات الإسلام، وكان كل إمام يقوم بدوره الكافي في التبليغ والإرشاد إلى هذه الفكرة الكبرى.

وقد كان لكل هذه التبليغات أثرها الكبير في ترسيخ فكرة المهدي في نفوس المسلمين بشكل عام، يأخذ كل فرد منهم ما يناسبه منها بحسب عمق إيمانه وسعة تفكيره واتجاه مذهبه في الإسلام.. واستطاعت أن تثير اهتمام السلطة الحاكمة بشكل حاد ومركز لا بالإيمان بها، بل بالوقوف ضدها ومحاولة القضاء عليها.

فمن الطبيعي جدا ـ والحال هذه ـ أن تقف السلطات العباسية موقف المراقبة الدقيقة والتضييق الشديد على الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ لعلمهم أنه عليه السلام هو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت الاثني عشر في عقيدة الشيعة، فيكون الإمام الثاني عشر هو الذي تتجسد فيه فكرة المهدي الموعود المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله لذلك فقد واجه الإمام العسكري الكثير من المعاناة والظروف الصعبة والمراقبة الدقيقة في هذا السبيل؛ لأنه والد للإمام الموعود.

فقد (كانت السياسة العباسية تجاه الأئمة عليهم السلام هي تلك السياسة التي سنّها المأمون تجاه الإمام الجواد وطبقها المتوكل تجاه الإمام الهادي عليه السلام، وهي ربط الإمام بالبلاط ودمجه بالحاشية؛ توصّلاً إلى دوام مراقبته ودقة الاطلاع على أمره وفصله عن قواعده الشعبية الموالية له، كانت هذه السياسة سارية المفعول تجاه الإمام العسكري عليه السلام، فكان كوالده محجوزاً في سامراء مسؤولاً عن الذهاب إلى بلاط الخلافة كل إثنين وخميس)[1].

---

٤: ٥٠٥- ٥٠٦ ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت. وانظر سنن ابن ماجه ٢: ١٣٤٠- ١٣٦٦- ١٣٦٧- ١٣٦٨ ط: دار الفكر، بيروت. وسنن أبي داوود ٤: ١٠٦- ١٠٧، ط: دار الفكر بيروت.

(١) تاريخ الغيبة الصغرى: ١٦٩.

وعلم الله تعالى أن لو انكشفت شخصية الإمام الموعود وولد في ظروف طبيعية عادية لتضاعفت التحديات من قبل الحكام آنذاك، مما يعرض بيت الإمام وحياته إلى مخاطر مضاعفة، وكما تدخلت يد الغيب في حياة نبي الله موسى عليه السلام بالتكتم أولاً على حمل أمه به وعلى وقت ولادته، وكذلك في مسيرة حياته في قصور فرعون، فإنّ الله تعالى حين تعلق غرضه المهم الملزم بهداية البشرية به في زمن المستقبل كان ذلك موقوفاً على ولادته صحيحاً سالماً، ولم يكن ذلك ممكناً للضغط العالمي الموجه من قبل سلطات فرعون يومئذ. إذا يتعين حفظه بطريق إعجازي تحفظاً على الغرض الإلهي الكبير الذي سيكون موسى عليه السلام المسؤول الرئيسي لتنفيذه وتطبيقه في حينه)[1].

كذلك تجري هذه السنة الإلهية في حياة المهدي الموعود، حيث تعلق الغرض الإلهي المهم الملزم بهداية البشرية في الزمان المستقبل وتنفيذ وعد الله تعالى بقيام دولة الحق على يده، وذلك يتوقف على ولادته وبقائه سالماً، من هنا أفاض الله عليه عنايته الخاصة وإرادته اللانهائية تحفظاً على غرضه الكبير وتحدّياً للجهد البشري المتواضع الذي تبذله السلطات بإقامة المعجزة في إخفاء الحمل من ناحية، وبقائه أمداً طويلاً من الدهر من ناحية ثانية.

وقد تحدثت الروايات المتعلقة بولادة الإمام عن سرية حمل أمه به والتكتم على ولادته، فقد ذكرت الروايات:

(إنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام تزوره عمته حكيمة في يوم من الأيام، وتبقى عنده إلى المساء، وحين تريد أن تنصرف يرجوها الإمام عليه السلام أن تبيت في داره هذه الليلة، فإنّه سيولد فيها المولود الكريم على الله عزّ وجلّ وحجة الله في أرضه فتسأله العمة ومن أمه؟، فيقول الإمام عليه السلام: نرجس، فتنفي العمة أن يكون بنرجس أثر الحمل، فيؤكد لها الإمام عليه السلام ذلك قائلاً: هو ما أقول لك. فتفحصها جيّداً وتقلبها

(١) تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٦٤.

ظهراً لبطن فلا تجد أثر الحمل، فتعود فتخبره تارة أخرى، فيبتسم الإمام(عليه السلام) ويعطيها الحجّة الواضحة والمبرر الإلهي الصحيح في ذلك قائلاً: إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل؛ لأنّ مثلها كمثل أم موسى لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحد إلاّ وقت ولادتها لأنّ فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى(عليه السلام) وهذا نظير موسى(عليه السلام)[1].

ويرى بعض العلماء أنّ (المعجزة في إخفاء الحمل يكون ـ على الأصح ـ على هذا الترتيب، وهو أنّ النطفة خلال مدة الحمل تنمو ببطء شديد أو لا تنمو على الإطلاق، ثم إنها قبل الولادة بوقت قصير قد لا يزيد على دقائق تنمو بسرعة حتى يكتمل الجنين ويكون قابلاً للميلاد في الجو السري الخاص البعيد عن أعين السلطات، وبذلك لا يتمكن أحد من الفاحصين حتى القوابل خلال المدة الاعتيادية للحمل من التعرف على وجوده فضلاً عن مجرد النظر)[2].

وهذا ليس بمستحيل في عالم المعجزات، فكم خرق الخالق تعالى سننه الطبيعية التي أجرى عليها هذا الكون، وذلك من خلال المعاجز والكرامات التي جرت للأنبياء والأولياء والإمام، المهدي(عج) ليس بدعاً من أولياء الله الربانيين الذين يمثلون خط الهداية في تاريخ البشرية.

وهكذا تمت ولادة الإمام(عليه السلام) في تلك الليلة المباركة أو عند انبثاق فجرها أشرق نور ولي الله في أرضه وحجته على عباده، تم ذلك في ظروف محفوفة بالسرية والكتمان، حيث لم يعلم بحدث الولادة إلاّ الإمام العسكري وعمته حكيمة بنت الإمام الجواد(عليه السلام)، كما جاء في بعض روايات المولد.

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٦٢.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٦٤.

## ٣- ما بعد الولادة:

عرضنا في ما سبق صورة موجزة عن الظروف التي ولد فيها الإمام المهدي(عج) ومدى صعوبتها بالنسبة إلى الإمام العسكري وأسرته. وهنا يثار هذا السؤال، وهو: ماذا ينتظر من الإمام العسكري عليه السلام أن يكون موقفه تجاه ولادة ابنه الإمام المهدي(عج) وحياته، فهل من المنطق السليم أن ننتظر من الإمام العسكري أن يعلن ولادة الإمام الحجة(عج) للملأ العام وبصورة مكشوفة ليعرض حياة ابنه للخطر أكثر مما كان يحوطه من المخاطر والتحديات من قبل السلطة الحاكمة ومن يسير في ركابها من ذلك المجتمع؟ وإذا ما استثنينا القليل، القليل من ذلك المجتمع فإنّ جميعه غير مأمون على حياة الإمام عليه السلام.

لذلك أصبح الإمام العسكري عليه السلام أمام مسؤولية مزدوجة تجاه هذا المولود الخطير في حياته. فهو من جهة لابدّ له من إثبات ولادة الإمام ووجوده تجاه التاريخ وتجاه الأمة الإسلامية وتجاه مواليه الذين يعتبرون المولود الجديد إمامهم الثاني عشر بحسب نص النبي صلى الله عليه وآله حين قال: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش فليس من الحق الصريح ولا المنطق الصحيح أن يبلغ الحذر والتوقّي إلى إخفائه الكامل، بحيث يؤدّي إلى انطماس اسمه وإنكار وجوده مع كونه عليه السلام الإمام الثاني عشر لمواليه والقائد المذخور لدولة الحق.

على أنه لابدّ من إقامة الحجة في وجوده على الموالين خاصة وعلى المسلمين عامة، بحيث يكون هناك تواتر في الأخبار عن وجوده ورؤيته يدحض به قول من يزعم عدم وجوده أو أنه ليس للإمام العسكري عليه السلام من ولد[1].

ومن جهة لابد للإمام العسكري عليه السلام من حماية الإمام المهدي(عج) من أن تصل إليه أيدي السلطة العباسية والحفاظ على حياته من الأخطار المحدقة به، وقد قام

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٧٠.

الإمام العسكري(عليه السلام) بهذه المسؤولية المزدوجة على أكمل وجه.

أما من جهة إثباته للتاريخ وللأمة الإسلامية عامة ولمواليه خاصة، فكان يجب ـ تحت الظروف التي عاشها الإمام ـ أن تتقلص وأن تضمر وأن يختص التبليغ بوجوده ورؤيته لكل شخص يعلم من قوة إيمانه وإخلاصه في عقيدته أن له من صلابة الإرادة ما لا يمكن أن تلين أمام أي ضغط من السلطات، بحيث يكون على استعداد أن يقدم نفسه فداء في سبيل امتثال أمر إمامه بالكتمان، كما أنه لابد أن يعلم من رجاحة عقله واتزانه ولباقته أن يكتم ذلك في المجتمع كتمانا تاماً ولا يتهور بإذاعة السرّ إلى من لا ينبغي أن يذيعه له، وله الخبرة الكافية بالخاصة الذين يمكن أن يتداول وإياهم هذا الخبر.. وهكذا كان[1].

فإنّ الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) قد تبنّى أسلوباً حكيماً وحذراً لإيصال خبر ولادة الإمام الحجة(عج) إلى الموثوقين المأمونين من شيعته وأتباعه من دون أن يثير أي انتباه للحكام أو غيرهم من سائر المجتمع، لتكون هذه المجموعة من الثقات هي الطريق لإثبات وجوده ـ على أقل تقدير ـ لسائر الموالين والمتشيعين إلى حد التواتر، فإنّ جماهير الموالين للإمام(عليه السلام) تعرف سلفاً وثاقة هؤلاء الأشخاص وإيمانهم وإخلاصهم واعتماد الإمام(عليه السلام) عليهم في الربط بينه وبين شيعته، ومن ثم لن يفرق شيئاً على الفرد من القواعد الشعبية الموالية بين أن يرى الإمام المهدي(عج) بنفسه أو يسمع عنه من أبيه، وبين أن يبلغه وجوده محفوفاً بقرائن الإثبات من قبل هؤلاء الأصحاب الموثوقين يستلم منهم الخبر كما يستلم الفتوى من الإمام[2].

بينما في ضمن إخبارات الإمام لهذه المجموعة وفي اطلاعهم على شخص الإمام المهدي كان يؤكد عليهم الكتمان وعدم ذكر الإمام القائم باسمه تأكيداً للكتمان والإخفاء، لأنّ الاسم يكسب الفرد شخصيته القانونية والاجتماعية التي يمكن أن

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٧٥.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٨١.

تعيّن ويشار إليها به، وأما مع الجهل به إلى جانب الجهل بشكله أيضاً يكتسب بذلك نحواً من الغموض وعدم التعيين في ذهن السلطات، فتحار عند البحث عنه أنها تبحث عن أي شخص على وجه التحديد، وهذا الغموض ـ على أي حال ـ يعطي المهدي المبحوث عنه رهبة في صدورهم وحالة قدسية في إحساسهم وشعوراً بالعجز تجاهه.

وإليك بعض النماذج من تلك الإخبارات التي صدرت من الإمام العسكري عن ولده بالأُسلوب المناسب لذلك الظرف الحرج:

**١- إكمال الدين بسنده عن أبي جعفر العمري قال:**

لما ولد السيد عليه السلام قال أبو محمد عليه السلام: ابعثوا إلى أبي عمرو، فبعث إليه فصار إليه فقال له: اشتر عشرة آلاف رطل من الخبز وعشرة آلاف رطل لحماً، وفرقه حسبة على بني هاشم، وعقّ بكذا وكذا شاة[١].

وفي بعض الروايات أنّ الإمام العسكري أمر بأن يعق عن الإمام بعد ولادته بثلاثمئة شاة[٢].

ويبعث الإمام إلى بعض أصحابه بشاة مذبوحة كاملة ويقول: هذه عقيقة ابني محمد[٣].

فنلاحظ هذا الأُسلوب من الإبلاغ مقروناً بالعقيقة أو توزيع اللحم والخبز هو الأُسلوب الذي يتناسب مع تلك الظروف الحرجة التي تحيط بالإمام وأسرته، فإنّ توزيع اللحم والخبز أو ذبح عدد كبير من الشياه وإرسال عدد منها إلى عدد من الأشخاص من الشيعة من شأنه أن يثير بعض الاستفسارات والتساؤلات عن مناسبة هذا العمل الذي لم يسبق للإمام أن فعله بهذه الكيفية، فمن كان من المأمونين على

---

(١) إكمال الدين:٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

هذا السرّ أخبر بحدث الولادة ومناسبة هذا العمل من الإمام الحسن العسكري وأخذ عليه كتمان الخبر.

وليس بالضرورة أن يتم ذبح هذا العدد من الشياه كعقيقة عن الإمام(ع) في دفعة واحدة وفي وقت واحد، بل يمكن أن يكون ذلك على دفعات وفي أوقات مختلفة وإلاّ فقد يثير انتباه السلطة وانتباه عامة الناس، وهو ما يتنافى مع أسلوب الإمام في تعامله مع حدث الولادة.

ويواصل الإمام العسكري(ع) عملية الإبلاغ بولادة الإمام المهدي(عج) إلى أسماع الموالين وتعريفهم على شخصية إمامهم من بعده.

**٢- روى الشيخ الصدوق بسنده عن يعقوب ابن منقوش قال:**

دخلت على أبي محمد الحسن بن علي(ع) وهو جالس على دكة في الدار وعن يمينه بيت وعليه ستر مسبل فقلت: يا سيدي من صاحب هذا الأمر؟ قال: ارفع الستر فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي، له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دُرّي المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذوابة، فجلس على فخذ أبي محمد(ع) ثم قال لي: هذا هو صاحبكم، ثم وثب فقال له: يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم فدخل البيت وأنا انظر إليه، ثم قال لي: يا يعقوب انظر إلى من في البيت فدخلت فما رأيت أحداً[1].

**٣- روى الشيخ الصدوق (ره) بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال:**

دخلت على أبي محمد الحسن بن علي(ع) وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدأ: يا أحمد بن إسحاق، إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلِ الأرض منذ خلق آدم، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه، به يدفع البلاء

(١) إكمال الدين:٤١٢.

عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض.

قال فقلت له: يا بن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك، فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى الحجة ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سمي رسول الله وكنيه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر، ومثله كمثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلاّ من ثبته الله عزّ وجلّ على القول بإمامته، ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه.

فقال أحمد ابن إسحاق: فقلت: يا مولاي، فهل من علامة يطمئن إليها قلبي،فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح، فقال: أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين، يا أحمد بن إسحاق. قال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً، فلما كان من الغد عدت إليه فقلت: يا بن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت به عليّ، فما السنة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ قال: طول الغيبة يا أحمد، قلت: يا بن رسول الله، وإن غيبته لتطول؟ قال: أي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، فلا يبقى إلاّ من أخذ الله عزّ وجلّ عهده بولايتنا، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه، يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من أمر الله، وسرٌّ من سر الله، وغيب من غيب الله، فخذ ما أتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين[1].

## ٤- إكمال الدين بسنده عن معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري رضي الله عنه قالوا:

عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً

---

(١) إكمال الدين: ٣٦٦- ٣٦٧.

فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا، قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلاّ أيام قلائل حتى مضى أبو محمد(ع)[1].

ولعل هذا هو أوسع إعلان من الإمام عن وجود ولده وإبرازه لشيعته، والروايات في هذا الأمر كثيرة، فقد كان الإمام العسكري يغتنم كل ظرف مناسب للتعريف بالإمام من بعده للواحد والاثنين والأكثر من الموالين والمحبين لأهل البيت(ع) حتى أصبح حدث ولادة الإمام ووجوده حدثاً متواتراً قطعياً عند الطائفة، وقد وافقهم في ذلك عدد ليس بالقليل من علماء أهل السنة والجماعة، قد صرّحوا بولادته وحياته، وقد ذكر منهم الشيخ لطف الله الصافي خمسة وستين عالماً[2].

وهكذا استطاع الإمام العسكري(ع) أن يقوم بمسؤوليته المزدوجة تجاه شخص الإمام المهدي(عج) من الحفاظ على حياته ومن إيصال خبر ولادته ووجوده إلى الموالين المعتقدين بإمامته على أقل تقدير، برغم قوة الأضواء المسلطة عليه وعلى بيته.

ومن ذلك يظهر أنّ غيبة الإمام المهدي(عج) ليس لها بداية محددة نستطيع أن نشير إليها، وإنما الأمر هو الذي عرفناه من وجود الإمام(ع) من حين ولادته في جو من الكتمان والحذر والاحتجاب وحرص والده(ع) على المحافظة البالغة عليه وعدم وصول خبره إلى السلطة أو من يدور في فلكها أو من يلين أمامها، ولم يكن يعرض ولده إلاّ على الخاصة من أصحابه كما عرفنا. وبقي نفس هذا المعنى ساري المفعول بعد وفاته(ع) متمثلاً في حرص الإمام المهدي(عج) نفسه وحرص سفرائه وأصحابه في الكتمان والحذر.

ومن الملاحظ في سيرة الإمام المهدي(عج) أنه كلما كان الزمان يمرّ كان يحجب

---

(١) إكمال الدين:٤١١.

(٢) راجع هامش منتخب الأثر من صفحة ٣٢٠ إلى صفحة ٣٤١.

نفسه عن أصحابه أكثر، فإنهم كلما اعتادوا على مقدار معين من الاحتجاب زادهم عليه شيئاً قليلاً.. وهكذا ، وهذا هو الملاحظ من حين ولادته في زمان أبيه إلى آخر غيبته الصغرى حين بدأت الغيبة الكبرى وبدأ الاحتجاب التام إلاّ بإذن الله[1].

مما تقدم يتضح وجه الشبه بين الإمام المهدي عجل الله فرجه وبين نبي الله موسى عليه السلام، وهو خفاء ولادتهما لتشابه الظروف التي ولد فيها كل منهما، وهذا ما لخصته الرواية التاسعة من الروايات العشر ـ مدار البحث ـ .

(١) تاريخ الغيبة الصغرى:٣٢٩- ٣٣٠.

# ملتقى الإمام
# مع يوسف الصديق
# وموسى الكليم عليهما

## الشبه في الغيبة

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنّ سنن الأنبياء عليهم السلام وما جرى عليهم من الغيبات جارية في القائم منا أهل البيت، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة).

### الرواية العاشرة

٢ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: (وأما سنة من يوسف بن يعقوب عليهما السلام فالغيبة من خاصته وعامته، واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب النبي مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته).

### الرواية الرابعة

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: (في القائم شبه من يوسف، قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لي ما تنكر من ذلك هذه الأمة أشباه الخنازير، إنّ أخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وهم أخوته وهو أخوهم، فلم يعرفوه حتى قال لهم: أنا يوسف. فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عزّ وجلّ في وقت من الأوقات يريد أن يبين حجته. لقد كان يوسف عليه السلام ملك مصر، فكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله عزّ وجلّ أن يعرفه مكانه لقدر على ذلك، ولقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عزّ وجلّ يفعل بحجته ما فعل بيوسف، أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عزّ وجلّ أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف حتى قال لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون، قالوا إنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي).

### الرواية السابعة

## معنى الغَيْبَة:

مـرادنا من معنى الغيبة التي يشترك فيها الإمام مع النبي يوسف والنبي موسى عليهما السلام هـو الابتعاد عن المجتمع الذي قدر لهذا الداعية الإلهي أن ينهض لإصلاحه وإنقاذه ومجهولـية شخصـيته لـدى ذلـك المجتـمع بمعـنى أنّ المجـتمع لا يعـرف حقيقة شخصـيته كداعـية ربانـي، وأنّ له دوراً إلهـياً مستقبلياً في وسط ذلك المجتمع، ولا نعنـي مـن الغيـبة غيـبة الشـخص عـن أعين الناس، حيث لا يراه أحد، وإنّما الغيبة المقصـودة هـي غيـبة العنوان، وحينما ندرس حياة الأنبياء والرسل عليهم السلام، تواجهنا في حـياة الكثـير منهم مسألة الغيبة والابتعاد عن المجتمع الذي أُنيطت بهم مهمة تغييره بدعوتـه إلى الله تعالى بعد بعثتهم إلى تلك المجتمعات، فقد تقع غيبة النبي قبل أن يكلـف بالمواجهة لذلك المجتمع وما فيه من مظاهر الانحراف والفساد حينما يهدد الخطـر حـياته، فـيؤمر بالابتعاد والغيبة عن مجتمعه وأُمّته لفترة قد تطول وقد تقصر حـتى تـتوفر الشروط الموضوعية لنجاح الدعوة واستمرارية التغير، فمتى ما توفرت تلك الظروف كلف ذلك النبي الداعية بالمواجهة والجهاد.

ولـيس من المنطق بمكان أن يتهم نبي من الأنبياء بأن غيبته وابتعاده عن مجتمعه وأمـته ناشـئ عـن ضعف النفس والانهزامية أمام مظاهر الكفر والظلم، فمقام الأنبياء أسمى وأجل من هذه التهمة.

غير أنّ مسيرة الدعوة لأي نبي من الأنبياء والحركة التغييرية لأي داعية إلهي تخضع لشروط موضوعية معينة لابد من توفرها ليكتب النجاح لهذه الدعوة واستمراريتها. ومتى توفرت فإنّ الداعية الإلهي سوف يؤمر بمواجهة الكفر والاستكبار، ونشير إلى بعض النماذج من الأنبياء كأمثلة على هذه الحقيقة، ولنكتف بنموذجين كريمين من أنبياء الله تعالى: على ضوء الروايات ـ مدار البحث ـ.

## النموذج الأول: نبي الله يوسف(عليه السلام).

## النموذج الثاني: نبي الله موسى(عليه السلام).

غيبة يوسف(عليه السلام):

لقد استعرض القرآن الكريم بأسلوبه الخاص في سورة يوسف ملخصاً قصة نبي الله يوسف الصديق(عليه السلام) ومعاناته في غيبته عن أسرته ومجتمعه بسبب تآمر إخوته عليه حسداً له، حيث قرروا إبعاده عن الأُسرة والمجتمع الذي يعيش فيه، فألقوه في البئر، والتقطته بعض القوافل التجارية فاشتروه من إخوته بعد ادعائهم أنه مملوك لهم أبق منهم. فاشتروه منهم بثمن بخس ونزحوا به إلى مصر، حيث عاش في بيت عزيز مصر وبقي أبوه يعقوب يعيش حالة من الحزن الشديد كما نطق القرآن الكريم بذلك، قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1].

ويهمنا من زوايا القصة الزاوية التي أثارتها الروايات ـ مدار البحث ـ وهي زاوية غيبته عن أسرته ومجتمعه ومجهولية شخصيته الحقيقية لدى المجتمع المصري الذي انتقل إليه وعاش في أوساطه، فهم يجهلون شخصيته كفرد مؤهل من قبل الله تعالى لمنصب النبوة والدعوة إلى وحدانية الخالق عزّ وجلّ.

وكذلك مجهولية شخصيته لدى إخوته لطول مدة ابتعاده عنهم، فلم يعرفوه برغم تعامله معهم في التجارة حين جاءوا إلى مصر ليمتاروا لأهلهم منها من الأطعمة والحبوب، وقد صوّر القرآن الكريم هذه الزاوية من القصة في قوله تعالى: ﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ ۞ قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۞

---

(١) يوسف: ٨٤

وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

وفي عودتهم إلى مصر في الرحلة الثانية ومعهم أخوهم بنيامين دبر يوسف عليه السلام خطة لإبقاء أخيه بنيامين معه في مصر، فأمر عماله أن يضعوا صواع الملك ـ وهو المكيال الذي تكال به الحبوب ـ في رحل أخيه، ثم وجه تهمة السرقة إلى إخوته وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[2] وإنّما عنى بذلك سرقتهم ليوسف في صغره من أبيه وإلقائه في الجب، وبعد التفتيش استخرجوا صواع الملك من رحل أخيه بنيامين، فحجز يوسف أخاه ليبقى معه في مصر قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ﴾[3].

وفي الرحلة الثالثة لإخوة يوسف إلى مصر كشف يوسف شخصيته لإخوته حيث آن الأوان أن يجتمع شمل الأسرة ويتحقق وعد الله ليوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[4] فقد تحقق هذا الوعد الإلهي حينما جاءوا إلى مصر في رحلتهم الثالثة، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۞ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۞ قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5].

---

(١) يوسف: ٥٨-٦٢.

(٢) يوسف: ٧٠.

(٣) يوسف: ٧٦.

(٤) يوسف: ١٥.

(٥) يوسف: ٨٨- ٩٠.

وأخيرا استدعى يوسف أباه يعقوب وبقية الأُسرة إلى مصر وجمع الله شمل يعقوب بلقائه بابنه يوسف وانتقالهم جميعاً من البدو إلى مصر، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾[1].

(١) يوسف: ١٠٠.

# الملتقى الثاني مع موسى الكليم عليه السلام

## الغيبة والخوف على نفسه

١ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (**وأما من موسى فالخوف والغيبة**).

**الرواية الثانية**

٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: (**وأما من موسى فخائف يترقب**).

**الرواية الثالثة**

٣ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: (**وأما سنة من موسى عليه السلام فدوام خوفه، وطول غيبته وخفاء ولادته، وتعقب شيعته من بعده مما لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عزّ وجلّ في ظهوره ونصره وأيده على عدوه**).

**الرواية الرابعة**

## غيبة موسى عليه السلام :

سبقت الإشارة في فصل سابق إلى تشابه الظروف التي ولد فيها كل من نبي الله موسى عليه السلام والإمام المهدي(عج) وأشرنا إلى الوصية التي كان بنو إسرائيل يتوارثونها عن نبي الله يوسف عليه السلام، حيث أخبرهم بما سوف يجري عليهم من طواغيت الحكام من الظلم والاستضعاف، وأنّ الذي يخلصهم من ذلك العذاب هو رجل من ذرية لاوى ابن يعقوب.

فاعتماداً على هذه الوصية أصبح بنو إسرائيل يعيشون حالة الانتظار لهذا المنقذ وأشتد بهم البلاء عند اقتراب زمن ظهوره وولد موسى عليه السلام، وعاش داخل المجتمع المصري الممزق إلى فرق وطوائف كما اقتضت سياسة فرعون بما فيها طائفة بني إسرائيل وهم ـ أعني بني إسرائيل ـ لا يعرفون موسى بأنه المنقذ الموعود، وهذه الحال نوع من الغيبة، فإنّ موسى عليه السلام يرى ما يعيشه بنو إسرائيل من المعاناة والضنك في الحياة ولا يستطيع أن يصنع شيئاً؛ لأنه لم يؤمر بعد بذلك، وهم يجهلون شخصيته الحقيقية، وجاء في بعض الروايات تصوير لهذه المرحلة التي عاشها نبي الله موسى عليه السلام وعاشها بنو إسرائيل، فعن أمير المؤمنين عليه السلام عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال:

**(لما حضرت يوسف الوفاة جمع شيعته وأهل بيته، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أخذ يحدثهم بشدة تنالهم، يقتل فيه الرجال، وتشق فيها بطون الحبالى، وتذبح الأطفال حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوى بن يعقوب، وهو رجل أسمر طويل، ثم وصفه لهم بنعته فتمسكوا بذلك، ثم إنه وقعت الغيبة واشتدت المحنة ببني إسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم أربع مئة سنة، حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علائم ظهوره واشتدت البلوى عليهم، وحمل عليهم بالخشب والحجارة، وطلبوا الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه، فاستتر واختفى عنهم لعظم المحنة وتقلب الجور، ثم راسلوه وكاتبوه وقالوا له: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك، فأتاهم وخرج لهم إلى بعض**

الصحاري، وجلس يحدثهم حديث القائم وأوصافه ونعوته وقرب أمر ظهوره وكانت ليلة مقمرة، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى، وكان في ذلك الوقت حديث السن وقد خرج من دار فرعون، فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحته بغلة وعليه طيلسان خز، فلما رآه الفقيه عرفه بصفاته ونعته، فقام إليه وانكب على قدميه يقبلهما ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك، فلما رأى الشيعة ذلك علموا أنه صاحبهم، فأهووا على الأرض شكراً لله عزّ وجلّ فلم يزدهم أكثر من أن قال لهم: أرجو أن يعجل فرجكم ثم غاب عنهم)[1].

والظاهر أنّ هذا الفقيه الذي ورد ذكره في الرواية هو البقية من علماء بني إسرائيل وحملة علوم النبوة السابقة لنبوة موسى عليه السلام، ليبقى خط الدين الصحيح مستمراً في حياة الأجيال مهما تغلب الانحراف في حياة المجتمعات، وابتعد الناس عن خط الأنبياء والرسل، ومن الطبيعي أيضاً أنّ الذين يجتمعون بهذا الفقيه أنّما يمثلون الطبقة الواعية من بني إسرائيل وإن كانوا قلة، وهم الذين احتفظوا بوصية يوسف وعاشوها عقيدة وأملاً.

حتى اضطر نبي الله موسى عليه السلام إلى مغادرة ذلك المجتمع والابتعاد عنه عندما تهددت حياته بالخطر حين طلبه فرعون للقضاء عليه على أثر حادثة قتل غير متعمد من قبل موسى عليه السلام لأحد القبطيين كما تحدث القرآن الكريم عن هذا الموقف في سورة القصص قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن

(١) الأنبياء ـ حياتهم ـ قصصهم: ٢٦٤.

﴿يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۞ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

لهذا السبب غادر موسى عليه السلام أرض مصر الى مدين (ومدين ـ على ما في مراصد الاطلاع ـ مدينة قوم شعيب وهي تجاه تبوك على بحر القلزم، بينهما ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر الذي استسقى منها موسى لغنم شعيب عليه السلام، ويقال: إنه كان بينهما وبين مصر مسيرة ثمان، وكانت خارجة من سلطان فرعون ولذا توجه إليها)[2].

ثم يسوق القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع شعيب وزواجه من إحدى ابنتيه على أن يعمل أجيراً عند شعيب لمدة ثماني سنوات إلاّ أنّ موسى أكملها عشراً.

وهذه المدة التي قضاها موسى عليه السلام في مدين تمثل المرحلة الثانية لغيبته، حيث ترك بني إسرائيل المستضعفين يعيشون الحرج الشديد والضيق والعذاب والحياة الشقية مع كونه عليه السلام منتظراً لإنقاذهم من ذلك الاستضعاف، وأن يقودهم لمواجهة الطغيان والاستكبار الفرعوني، فهل من المنطق أن يوجه اللوم إلى موسى عليه السلام؛ لأنّه ترك ساحة المواجهة مع الكفر أم أنّ خروجه من مصر كان ضرورياً في هذه المرحلة، حيث بعد لم تتوفر الشروط الموضوعية لعملية التغيير والقضاء على قواعد الطغيان. وجاء في تمام الرواية السابقة عن أمير المؤمنين عليه السلام في خروج موسى عليه السلام إلى مدين (فكانت الغيبة الثانية أشد عليهم واستتر نائبه الخاص وهو الفقيه عنهم خوفاً من اضطهاد وجبروت فرعون. والفقيه هو الذي كانوا يستريحون إلى حديثه فبعثوا إليه أن لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحاري واستدعاهم

---

(١) القصص: ١٥- ٢١.

(٢) الميزان ١٦: ٢٤.

فلما حضروا تكلّم معهم وطيب قلوبهم وأعلمهم أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه أنّه مفرج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا بأجمعهم: الحمد لله وكل نعمة من الله، ولا يأتي بالخير إلاّ الله ولا يصرف الشرّ إلاّ الله، ثم إنّ الله تعالى لما أذن بالفرج فبينما هم في الانتظار إذ طلع عليهم موسى(ع) راكبا حماراً فوقف عليهم وسلم فجاء الفقيه وقال له: ما اسمك؟ فقال موسى بن عمران بن وهيب بن لاوي بن يعقوب فقال له الفقيه بماذا جئت؟ قال بالرسالة من عند الله تعالى فقام إليه فقبل يده ثم جلس موسى بينهم وطيب نفوسهم وأمرهم بأمره ونهاهم ونصح لهم وأرشدهم ثم أمرهم بأن يتفرقوا وينتظروا الفرج بهلاك عدوهم، فكان بين هذا الاجتماع به وبين فرجهم بغرق فرعون أربعون سنة)[1].

## غيبة الإمام(عج):

مما تقدم يتضح معنى الغيبة ليوسف الصديق والكليم موسى(ع)، وهو ابتعاد كلّ منهما عن خاصة أُسرته وعامة مجتمعه الذي ولد فيه ونشأ في وسطه، ومجهولية شخصيته الحقيقية عند ذلك المجتمع والمفهوم المشترك بينهما وبين الإمام المهدي(عج) هو مجهولية شخصيته لدى الخاصة والعامة من الناس بسبب عدم الكشف عن شخصيته الحقيقية، وإن تفاوتت دواعي هذه الغيبة وهذا التنكر.

إلاّ أنّه مما لا شك فيه أنّ الحكمة الإلهية المتعلقة بخط هداية البشرية اقتضت ذلك في حياة كل من يوسف الصديق وموسى الكليم والإمام المهدي(ع) انسجاماً مع ظروف موضوعية معينة، غير أنها في حياة الإمام المهدي(عج) تمتد لفترة أطول وتخضع لأُسلوب خاص من الحياة يعيشه الإمام(ع) في علاقته بالأجيال البشرية التي عاصرها ويعاصرها في طول غيبته(ع).

وهذا المعنى للغيبة ـ أعني غيبة العنوان ـ هو المفهوم الذي تصرّح به الروايات

(١) الأنبياء ـ حياتهم ـ قصصهم: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

وينسجم مع طبيعة الأشياء، ولا تعني غيبة الإمام أنه دائم الاستتار عن الأنظار، فلا يراه أحد من الناس، فقد جاء في الرواية السابعة من الروايات العشر ـ مدار البحث ـ في قول الصادق عليه السلام:

**فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون الله عزّ وجلّ يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه، حتى يأذن الله عزّ وجلّ أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف عليه السلام.**

نعم، قد يحدث للإمام عليه السلام ـ وفي ظروف استثنائية ـ أن يحتجب عن الأنظار بقدرة الله في حالة خاصة، لا سيما في بداية الغيبة الصغرى، حيث كان الطلب حثيثاً عن شخصه عليه السلام من قبل السلطة الحاكمة.

وكلما مرّت الأيام على غيبته قلت الظروف الاستثنائية التي توجب الاستتار عن الأعين، حيث لم يعد هناك من يعرف شخصه أو يخشى على حياته منه. فيبقى الإمام مجهول الشخصية الحقيقية لدى كل الناس إلاّ في حالات استثنائية أيضاً تقتضيها مصلحة الإسلام ومصلحة الفئة المؤمنة وبقدر ما ينسجم مع سنّة التمحيص الإلهي للبشرية لإعدادها لمرحلة الظهور وقيام دولة الحق بقيادته عليه السلام. فيحدث للإمام اللقاءات المتكررة في أثناء الغيبة الصغرى والكبرى، كما سجل ذلك في العديد من المؤلفات، وقد أفردت لهذه اللقاءات مؤلفات خاصة يجدها من يطلبها.

فغيبة الإمام إذاً هي عدم معرفة الناس لشخصيته الحقيقية وابتعاده عن المجتمع وعدم مخالطة الناس بالأسلوب الذي يؤثر على خطه المرسوم له من قبل الله تعالى. وليس كما يزعم البعض في حق الشيعة أنهم يعتقدون بأنّ إمامهم غائب في سرداب في سامراء ولم يزل غائباً فيه فلا يبارحه حتى يخرج لإقامة حكم الله، ويحسب هؤلاء أنّ عقول الشيعة بهذا المستوى من السذاجة والبلادة.

وإنّما يتردد الشيعة على هذا السرداب ويرودونه بالزيارة لا لأنّ الإمام المهدي غائب ومقيم فيه، بل لأنّ هذه الدار التي يشكل السرداب جزءاً منها كانت سكناً

للإمامين علي الهادي والحسن العسكري قبل الإمام المهدي(عج) ولا يمنع أنّ الإمام المهدي قد اتخذ هذه الدار مقراً له لفترة من الزمن في بداية الغيبة الصغرى مع تحفظه وحذره من مطاردة السلطات العباسية. ولا يعني ذلك أنّه(عج) دائم الإقامة في هذا السرداب كما تدّعي هذه الخرافة.

ولا تعني غيبة الإمام أيضاً ـ بالمعنى السابق للغيبة ـ ابتعاده عن الساحة الإسلامية كلياً واهماله لأمر الأُمة، ولا سيما الخط الموالي لأهل البيت(عج)، بل هو مرتبط بالمجتمع الإسلامي والخط الإمامي عن طريق الوكلاء الخاصين والسفراء المعينين في فترة الغيبة الصغرى، وبعد نهاية هذه الفترة وبدء الغيبة الكبرى وضع الإمام مبدأ ثابتاً ومنهجاً واضحاً لشيعته وهو خط النيابة العامة وهو خط الفقاهة. ويتمثل هذا المبدأ في شخصيات الفقهاء العدول.

من خلال ما قدمناه حول هذين النموذجين الإلهيين من أنبياء الله تعالى ـ أعني يوسف الصديق وموسى الكليم ـ عرفنا صورة موجزة عن بعض جوانب الاشتراك والتشابه بين الإمام المهدي وبينهما عليه وعليهما السلام.

والمتأمل في سيرة الأنبياء والرسل وأدوارهم في حياة البشرية وما يحدث في حياتهم من أحداث خارجة عن العادة والمألوف في حياة الناس يجد أنه كلّما كان دور ذلك الرسول أو النبي أكبر وأوسع كانت ظروفه أشدّ وأقسى، ومن ثم يؤيده الله تعالى بإمداداته الخاصة فتحدث في حياته الأحداث الإعجازية بصورة أكثر وأوضح منها في حياة من هو دونه من الأنبياء.

فلو أخذنا النموذجين السابقين ـ يوسف وموسى(عليهما السلام) ـ نجد هذه الحقيقة واضحة في الفرق بين ظروف كل منهما وما زودهما الله تعالى من إمداداته الخاصة فإنّ نبي الله موسى نظراً إلى كونه من أُولي العزم من الرسل وصاحب رسالة رئيسة من الرسالات السماوية، وأنّ دوره أقوى وأوسع وأصعب من دور نبي الله يوسف(عليه السلام)

في عملية التغيير والهداية. ونظراً إلى قوة الطغيان ومظاهر الاستكبار التي وقف موسى(ع) في وجهها من أجل القضاء عليها والمتمثلة في طغيان فرعون والملأ من قومه الذي يتحدث عنه القرآن. فلذلك كلّه نجد حياة موسى مليئة بالخوارق والإمدادات الغيبية والأحداث الخارجة عن المألوف والعادة ما لم يوجد مثله في حياة يوسف(ع).

وهكذا يمكن للمتأمل أن يلاحظ هذه الحقيقة في حياة سائر الأنبياء والرسل كسنة من سنن الله تعالى في حياة أنبيائه ورسله.

فكذلك تجري هذه السنة في حياة الإمام المهدي(ع) فبما أنّ الدور الذي قدر لهذا المصلح أن يضطلع به يمثل أعظم دور وأشمله وأكمله في تاريخ البشرية،حيث أنه سوف يقوم بإصلاح العالم ـ كل العالم ـ فإنه مما يتناسب مع هذا الدور العظيم أن يكون في حياة صاحب هذا الدور من الأحداث الخارقة للعادة ما يتناسب طرداً مع عظمة دوره الإصلاحي الذي لا مثيل له في تاريخ البشرية؛ لتكون تلك الظواهر الخارقة جزءا من عوامل نجاحه في مهمته العالمية الكبرى. ولأنه سوف يواجه من ظواهر الطغيان والاستكبار والفساد العالمي ما لم يواجهه أي مصلح إلهي في التاريخ.

فيكون ذلك منسجماً مع السنة الإلهية ـ المشار إليها ـ الجارية في حياة أنبياء الله ورسله وأوليائه، لذلك نجد أنّ الله تعالى قد جمع لحجته الإمام المهدي(عج) الكثير مما قد فرقه على حياة الأنبياء(ع) من الخوارق للعادة والخارجة عن المألوف.

# ملتقى الإمام مع نوح النبي عليه السلام

## الشبه في طول العمر

١ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (وأما من آدم ونوح فطول العمر).

**الرواية الثانية**

قال الإمام الصادق عليه السلام: (وأمّا إبطاء نوح عليه السلام فإنّه لما استنزلت العقوبة على قومه من السماء بعث الله تبارك وتعالى جبرئيل الروح الأمين معه سبع نويات، فقال: يا نبي الله، الله تبارك وتعالى يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي، لست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلاّ بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجة، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك، فإني مثيبك عليه واغرس هذا النوى، فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشر بذلك من اتبعك من المؤمنين، فلما نبتت الأشجار وتآزرت وتشوقت واعتصبت وأثمرت وزها الثمر على ما كان بعد زمان طويل استنجز من الله العدة، فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد ويؤكد الحجة على قومه، فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به، فارتد منهم ثلاث مئة

**رجل، وقالوا: لو كان ما يدعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربه خلف).**

ثم إنّ الله تعالى لم يزل يأمره عند كل مرة بأن يغرسها مرة بعد أخرى، إلى أن غرسها سبع مرات، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتد منهم طائفة بعد طائفة، إلى أن عاد إلى نيف وسبعين رجلاً، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه وقال: يا نوح الآن أسفر الصبح عن الليل بعينك حين صرح الحق عن محضه، وصفى الأمر للإيمان من الكفر بارتداد كل من كانت طينته خبيثه، فلو أني أهلكت الكفار وأبقيت من ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين اخلصوا التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوتك بأني أستخلفهم في الأرض وأمكّن لهم دينهم، وأبدل خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشرك من قلوبهم، وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبذل الأمن مني لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا وخبث طينتهم وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق وسنوح الضلالة؟ فلو أنهم تسنموا من الملك الذي آوى المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لتنشّقوا روائح صفاته، ولاستحكمت سرائر نفاقهم وتأبد حبال ضلالة قلوبهم، وكاشفوا إخوانهم بالعداوة وحاربوهم على طلب الرئاسة والتفرد بالأمر والنهي، وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب؟ كلا «فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا».

قال الصادق عليه السلام: **وكذلك القائم، فإنه عند أيام غيبته ينصرح الحق من محضه ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يحس عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمر المنتشر في عهد القائم(عج)).**

## الرواية التاسعة

على ضوء ما جاء في الروايتين ـ الثانية والتاسعة ـ يظهر أن وجه التشابه بين نبي الله نوح وإمام العصر عليه السلام له جانبان:

**الجانب الأول:** طول العمر.

**الجانب الثاني:** شدة التمحيص والابتلاء للأمتين، أمّة نوح وأمّة الإسلام في عصر الغيبة.

## ١. طول العمر:

ذكر القرآن الكريم أن نوحاً عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وهذا ظاهر من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

قال في الميزان: (والتعبير بألف سنة إلاّ خمسين عاماً دون أن يقول تسعمئة وخمسين سنة للتكثير والآية ظاهرة في أنّ الألف إلاّ خمسين مدة دعوة نوح عليه السلام ما بين البعثة إلى أخذ الطوفان فيغاير ما في التوراة الحاضرة أنها مدة عمره عليه السلام)[2].

فهذه الفترة إذاً ليست هي كل ما عاشه نوح عليه السلام؛ لأنّ القرآن ليس في صدد البيان عن عمر نوح عليه السلام وإنما هو في صدد بيان فترة الدعوة التي عانى فيها نوح عليه السلام المتاعب في مواجهة ظواهر الكفر والتمرد في حياة قومه.

فالقرآن الكريم ساكت عن فترة ما قبل البعثة وفترة ما بعد الطوفان، فإذا ما أضفنا هاتين الفترتين إلى فترة الدعوة أصبح عمر نوح عليه السلام ألف سنة أو أكثر على أقل التقادير حتى لو فرض أنّ نوحاً عاش الفترة التي ذكرها القرآن فقط يبقى عمره عمراً غير عادي وغير مألوف، وقد استبعد بعضهم حتى هذه المدّة بدعوى أنّ الأعمار الإنسانية لا تتجاوز في الأغلب المئة أو المئة والعشرين سنة، حتى ذكر بعضهم أنّ القدماء كانوا يعدون كل شهر سنّة فالألف سنة إلاّ خمسين عاماً يعدل ثمانين سنة

---

(١) العنكبوت: ١٤.

(٢) الميزان١٦: ١١٤.

إلاّ عشرة شهور[١].

وهذا الاستبعاد لاوجه له مادامت المسألة مسألة إعجاز رباني وخروج عن الطبيعة والعادة المألوفة، وأنّ هذا العمر الطويل جعله الله معجزة لنبيه نوح(عليه السلام) ـ كما يرى بعض العلماء ـ فكان نوح(عليه السلام) أطول الأنبياء عمراً، ولم ينقص له سن ولم تنتقض له قوة، كما ذكر، وليس هذا بمستحيل في دنيا معاجز الأنبياء وخوارق العادة في حياة الدعاة الإلهيين.

قال الشهيد الصدر (قدس سره): (وإذا أخذنا بوجهة النظر.. التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحية نفسها، بمعنى أنها تحمل في أحشائها بذرة فنائها المحتوم مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاء بالموت.

أقول: إذا أخذنا بوجهة النظر هذه فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في القانون الطبيعي، بل هو على افتراض وجوده قانون مرن؛ لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية والعلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية أنّ الشيخوخة ظاهرة فسيولوجية لا زمنية قد تأتي مبكرة وقد تتأخر ولا تظهر إلاّ في فترة متأخرة حتى إنّ الرجل قد يكون طاعناً في السن، ولكن يملك أعضاء لينة ولا يبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نص على ذلك الأطباء.

بل إنّ العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة)[٢].

فإذا تم ذلك فما المانع أنّ الله تعالى ـ وهو الواضع لهذا القانون ـ يريد خرقه في حياة شخص أو أشخاص يكون في تجاوز عمره للمدة الطبيعية مدخلية في عملية الهداية الإلهية للأجيال البشرية، ويكون ذلك عنصراً ضرورياً في عملية التغيير في

---

(١) ذكره في الميزان ١٠: ٢٧١.

(٢) بحث حول المهدي: ٢٤- ٢٥.

مرحلة ما من حياة البشرية.

وكم لله تعالى من خوارق في حياة الرسل والأنبياء، فما من نبي إلاّ وتوجد في حياته معجزة أو أكثر حسبما تقتضيه المرحلة التي يعيشها النبي صاحب المعجزة. فليكن طول العمر لنبي الله نوح عليه السلام وكذلك للإمام المصلح العالمي مهدي آل محمد(عج) يمثل نموذجين من تلك الخوارق الإعجازية في خط الهداية للناس، نعم إنّ هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس وفي ما أنجز فعلاً من تجارب العلماء، ولكن ليس الدور التغييري الحاسم الذي أُعدّ له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس أو ليس قد أنيط به تغيير العالم وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل؟ فلماذا نستغرب إذا تم التحضير لهذا الدور الكبير لبعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإنّ غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه، فإذا كنا نستسيغ ذلك الدور الغريب تاريخياً على الرغم من أنه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة.

ولا أدري هل هي صدفةً أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكلٍّ منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة، أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية، وهو نوح الذي نصّ القرآن على أنه مكث في قومه ألف عام إلاّ خمسين سنة وقدر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد، والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام، وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد؟ فلماذا نقبل نوحاً الذي ناهز ألف عام على أقل

تقدير ولا نقبل المهدي)[1].

## ٢. شدة التمحيص وطول أمده:

الجهة الثانية من جهتي التشابه بين مهدي آل محمد ﷺ ونبي الله نوح هي شدة الابتلاء والتمحيص وامتداد زمانه لكل من الفئة التي آمنت بنوح والمجتمع الذي يعيش فيه الإمام المهدي في أثناء الغيبة الكبرى، فقد عرضت الرواية التاسعة من الروايات العشر ـ مدار البحث ـ صورة واضحة لشدة الابتلاء والتمحيص الذي امتحنت به أمة نوح عليه السلام والمؤمنون منهم بصورة خاصة، وطول أمد ذلك التمحيص.

فإنّ الله تعالى أنّما عرض المؤمنين في عصر نوح عليه السلام لعملية طول المعاناة والمواجهة لطواغيت وكفار قومه لعلمه تعالى أنّ الأغلبية الساحقة ممن آمن بنوح عليه السلام لم يكن إيمانهم إيماناً ثابتاً وراسخاً وناشئاً عن قناعة جازمة بنبوة نوح عليه السلام، وإنّما كان إيمانهم بدوافع غير نظيفة، إمّا لاعتبارات اجتماعية معينة، أو لصراع طبقي يعيشه ذلك المجتمع، أو مصالح دنيوية ينتظرونها من نجاح هذه الدعوة الجديدة، كأن يأملون أن يحتلّوا مواقع أولئك الطواغيت والظلمة الذين كانت لهم السيطرة على ذلك المجتمع. فمثل هذا الإيمان لا يعتمد عليه في بناء دولة وأمة يراد لها أن تقوم على أساس الحق والعدل الكامل، بل إنّ هذه الشريحة من المجتمع وإن كان يظهر منها الإيمان إلاّ أنّها سوف تسبب مشكلة في المجتمع الإيماني؛ لأنها سوف لن تنسجم مع التطبيق الكامل للأحكام الإلهية وإقامة العدل الإلهي في الأرض؛ لأنّ هذه الأحكام تتنافى مع مصالحهم وأهدافهم.

وكل دعوة جديدة لاتخلو من التحاق أمثال هذه العناصر بها، فيستجيبون لها تحت دوافع مختلفة. بينما الإرادة الإلهية تقضي أنّ المجتمع الذي سوف يقيمه نبي الله نوح بعد هلاك الطواغيت والظلمة لابدّ أن يكون مجتمعاً إيمانياً نظيفاً ونموذجاً

---

(١) بحث حول المهدي: ٢٩ـ ٣٠.

كاملاً لمجتمع الحق والعدل.

فعلى هذا الأساس، لابدّ من شدة التمحيص وامتداده ليسقط في الطريق من لا قابلية له على الاستمرار، ولا يملك قدرة إيمانية ثابتة تدفعه إلى مواصلة الجهاد وهذا ما تشير إليه الرواية، حيث إنّ الله تعالى كلف نوحاً عليه السلام أن يزرع نوى الشجر فإذا أدرك وأثمر يأتيهم الفرج بهلاك الطواغيت، إلاّ أنّ الوعد لم يقيد حدوث الفرج بعد أن تثمر تلك الأشجار مباشرة، بل هي بعدية مطلقة، فلا مانع أن يكون بعد ذلك بزمن طويل.

وعلى ما ورد في الرواية فإنّ هذه العملية ـ عملية زرع نوى الشجر ـ قد تمت سبع مرّات، وهي تحتاج الى فترة تطول على مجتمع ينتظر الفرج فترة بعد أخرى لذلك سقط المزيفون من ذلك المجتمع الذي كان مؤمناً بنبوة نوح، فكلما امتد الزمن وتأخر الفرج سقط قسم بالارتداد عن دين الله تعالى، حتى لم يبقَ مع نوح إلاّ القليل، كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ وهذا ما أشارت إليه الرواية التاسعة، حيث كان هذا القليل هو خلاصة ذلك التمحيص الطويل، وهي الفئة التي ركبت السفينة مع نوح عليه السلام لينجو من الغرق والهلاك كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[1].

وأهلك الله الكافرين والظالمين، وطهّر الأرض من طغيانهم واستكبارهم وفسادهم بعد طول الأمد وشدة المعاناة التي واجهها نبي الله ومن معه من المؤمنين.

ثم رفع الله الطوفان كما قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

وبعد هذا أصبحت الأرض مهيئة لإقامة مجتمع التوحيد والإيمان الخالص

---

(١) هود: ٤٠.

(٢) هود: ٤٤.

وتحقق وعد الله قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

إلاّ أنّ الجدير بالملاحظة هنا أنّ الآية الكريمة فيها إشارة إلى أنّ الفئة التي كانت مع نوح عليه السلام كانت تشكل النواة لمجتمع التوحيد والعدل في ما بعد الطوفان، وهو مجتمع السلام والبركات الإلهية الذي يبني حياته على قواعد العدل والحق والاستقامة التي تعني مظاهر العبودية لله تعالى، فينتج منها السلام والأمن والبركات الإلهية في كلّ جوانب الحياة.

إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ هذا المجتمع سوف يستمر إلى مالا نهاية محتفظاً بصلاحه واستقامته وعدالته، ولكن مع مرور الأجيال سوف يبدأ العدّ التنازلي في ذلك المجتمع عندما تبرز فيه بوادر الانحراف عن خط الحق العدل، فيبتعد عن خط الأنبياء والرسالات السماوية، غير أنّ الله تعالى يمتعه قليلاً في الحياة، ثم يمسه من الله تعالى العذاب الأليم الدنيوي والأخروي كنتيجة طبيعية لذلك الانحراف.

(١) هود: ٤٨.

## تمحيص ما قبل يوم الظهور:

بعد ما ذكرت الرواية ما جرى لقوم نوح من التمحيص والغربلة لإيجاد النواة الاجتماعية الخالية من الشوائب لإقامة مجتمع العدل والحق، ليتم التمكين للمؤمنين كما أوعدهم الله تعالى بعد ذلك أشارت الرواية إلى وقوع ذلك التمحيص للمجتمع الذي يواكب غيبة الإمام المهدي(عج)، لاسيما الفئة المؤمنة بفكرة الإمام ووجوده وانتظاره، فإنه سوف تجري عليهم السنّة الإلهية التي لا تتخلف ولا تتبدل.

قال الصادق عليه السلام:

**(وكذلك القائم فإنه تمتد أيام غيبته، فيصرح الحق من محضه، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يحس عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمر المنتشر في عهد القائم عليه السلام).**

ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا بأنّ البشرية الحاضرة لم تتعرض في تاريخها المنظور ـ على الأقل ـ إلى عملية تمحيص وغربلة أشد وأقسى مما تعرضت وتتعرض له في عصر غيبة الإمام المهدي عليه السلام من مظاهر الابتلاء والتمحيص للناس عامة وللفئة المؤمنة خاصة.

هذه المظاهر التي تتمثل في ما يلي:

١- سيطرة الظلم والاستكبار على العالم كلّه، ويتمثل ذلك في الحضارة المادية المعاصرة والقائمين عليها، والتي تمتلك من وسائل القوة والسيطرة من سلاح حديث متطور ما لم تعهد البشرية له نظيراً فيما مضى من تاريخها، بما يدخل الرعب والرهبة في قلوب شعوب الأرض لهذه الحضارة القائمة حيث، لا يملك الناس أمامها إلا الإذعان والخضوع القهري لسيطرتها وقوتها، وهذا ما لا يقبل الجدل، حيث نشاهد ما تعانيه شعوب الأرض من سيطرة من بأيديهم القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية، وكيف يتعاملون مع شعوب العالم، فلا نرى شبراً من

الأرض إلاّ وساده الظلم والرعب من وسائل التدمير والإبادة الشاملة.

كذلك البعد الآخر لهذه الحضارة، وهو المتمثل في وسائل الإغراء والتحلل والإباحية التي استخدمت فيها أرقى ما وصل إليه الإنسان من التقنية العلمية ووسائل الغزو الفكري والأخلاقي، حتى أصبحت أجيال البشرية في قبضة هذه الحضارة المادية التي تعيش وتستهدف البعد عن خط الأنبياء والدعاة الإلهيين.

٢- هذا على مستوى العالم ـ كل العالم ـ وأما على مستوى العالم الإسلامي والأمة الإسلامية فإنّ الوضع الذي عليه الأمة يمثل حالاً مأساوية، فالبلاد الإسلامية مزقت وقسمت إلى دويلات ليس بينها قاسم مشترك سوى اسم الإسلام فقط. وقد انحسر الإسلام عن حياة المجتمعات الإسلامية في هذه الدويلات، فاستبدلت قوانينه وأحكامه بقوانين وضعية، فإنّ المجتمعات الإسلامية لا تحكمها قوانين الله بل تحكمها قوانين مستوردة من الشرق أو الغرب مما سبب للأمة حالة من الذوبان الذي يكاد يكون كاملاً في مصهر الحضارة المادية العالمية، وإذا أضفنا إلى ذلك أزمة انقسام الأمة إلى مذاهب على المستوى العقيدي والفقهي، حتى أدّى هذا الانقسام ـ في كثير من الفترات ـ إلى التناحر والصراع الذي يبعد الأمة عن روح الإسلام وأهدافه، فإذا أضفنا هذا إلى سابقه من وضع الأمة فإنّ الصورة سوف تتضح بما تحمل من عوامل الضعف والتدهور والذوبان والابتعاد عن رسالة الله وهدايته حتى أصبحت الأمة ابعد ما تكون عن رسالة نبيها محمدﷺ.

٣- وأما على مستوى من ينتمي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام من الفرقة المحقة فإنّ المحنة أشد والتمحيص أقسى وأصعب، حيث تشترك هذه الطائفة مع سائر المسلمين وسائر فئات العالم في مظاهر الفتنة العالمية وأسباب الذوبان والتأثر بها والتراجع عن هداية السماء، حتى يفقد الكثير من هذه الطائفة مناعته وصموده أمام الشبهات الفكرية والمؤثرات الأخلاقية، بالإضافة إلى هذا فإنّ هذه الطائفة كانت ولا تزال مستهدفة من قبل من حكموا الأمة باسم الإسلام؛ لأنها ترى وتعتقد أنّ الحكم

في الإسلام يجب أن يكون بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للأئمة من أهل بيته المعصومين عليهم السلام اعتماداً على النصوص الكثيرة والصريحة الصادرة من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

ولأنها أيضاً تحمل فكرة الإمام المهدي(عج) الذي وعد به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والذي سوف يقوم بإصلاح العالم وتطهيره من مظاهر الكفر والفساد والظلم والانحراف، وتتجسد لديهم هذه العقيدة في شخص بعينه وهو خاتم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله الإمام الثاني عشر محمد بن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهم ينتظرون خروجه ليتم على يديه وعد الله تعالى في التمكين للمستضعفين في الأرض.

فرفض الظلم والجور والاستكبار جزء من عقيدة هذه الطائفة وثقافتها الإيمانية فكانت هذه العقيدة ولا زالت تمثل هاجساً مخيفاً عند الحكام الجائرين والمنحرفين. فمن الطبيعي أن لا ترضى عنهم قوى الكفر والانحراف في العالم فتقف منهم موقف التحدي والاستضعاف والتضييق الشديد، خوفاً من تنامي هذه الطائفة وقوتها إلى الحد الذي تهيئ فيه الأرضية لخروج هذا المصلح العالمي الذي يخشاه الظالمون.

لهذا وذاك نجد تاريخ هذه الطائفة مليئاً بالمعاناة الشديدة والابتلاء الصعب، فهي الطائفة المستضعفة على طول التاريخ الإسلامي والتي وعدها الله تعالى بالتمكين في الأرض حسب ما تقتضيه السنة الإلهية، فهي تعيش أشد أنواع التمحيص لتتمخض عن جيل الظهور الذي يشكل القاعدة الشعبية والنواة لانطلاقة النهضة المهدوية لإصلاح العالم، ذلك الجيل الذي يمثل خلاصة البشرية وخلاصة الفئة المؤمنة الممحصة بعد طول التمحيص وصعوبة المعاناة وبعد سقوط الكثير في خضم هذه المظاهر الابتلائية، وقد أعطى الدعاء المشهور ـ دعاء الافتتاح ـ صورة عن حالة الابتلاء وشدة التمحيص التي يعيشها المؤمنون الذين يعاصرون الغيبة الكبرى. صور ذلك في المقطع التالي:

(اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزو بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق

وأهلـه، وتجعلـنا فـيها من الدعاة الى طاعتك، والقادة الى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة.

اللهـم مـا عرفتـنا مـن الحق فحملناه، وما قصرنا عنه فبلغناه، اللهم الممّ به شعثنا وأشـعب بـه صـدعنا، وارتـق بـه فتقـنا، وكثر به قلتنا، واعز به ذلتنا، واغن به عائلنا واقـض بـه عـن مغرمـنا، واجبر به فقرنا، وسد به خلتنا، ويسر به عسرنا، وبيض به وجوهـنا، وفـك بـه أسرنا، وانجح به طلبتنا، وأنجز به مواعيدنا، واستجب به دعوتنا وأعطنا به سؤلنا، وبلغنا به من الدنيا والآخرة آمالنا، وأعطنا به فوق رغبتنا.

يـا خـير المسؤولين وأوسع المعطين، اشف به صدورنا، وأذهب به غيض قلوبنا واهدنـا به لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى سراط مستقيم وانصرنا به على عدوّك وعدونا إله الحق آمين.

اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله، وغيبة ولينا وكثرة عدونا، وقلة عددنـا، وشـدة الفتـن بـنا، وتظاهر الزمان علينا، فصلِّ على محمد وآل محمد وأعنا علـى ذلـك كلـه بفـتح مـنك تعجله، وضر تكشفه، ونصر تعزه وسلطان حق تظهره ورحمة منك تجللناها، وعافية منك تلبسناها برحمتك يا أرحم الراحمين)[1].

فـنلاحظ هـذا المقطـع مـن هذا الدعاء يصور حالة الاستضعاف ومظاهر المعاناة التـي تعيشها الأمة الإسلامية، لاسيما الطائفة التي تحمل فكرة الإمام المهدي وتنتظره فـي أثناء غيبته وما تواجهه من تحديات صعبة، إلاّ أنها تبقى تعيش الأمل في رحمة الله وتعـيش انـتظار الفـرج بخـروج المصـلح المنقذ ليغير هذا الواقع إلى واقع آخر ترتفع فيه مظاهر الاستضعاف وتنتهي فيه مأساة البشرية.

وإنمـا جـاء التأكـيد علـى قـراءة هـذا الدعـاء من أجل أن يبقى الإنسان المؤمن متمسـكاً بـروح الأمـل والانـتظار، مهمـا ضـاقت علـيه حـياته واشـتدت من حوله التحديات، لكي لا يسقط كما سقط غيره أو يذوب في مصهر التمحيص.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٣٤ـ ٢٣٥، ط. مؤسسة الأعلمي لبنان.

وتعتبر غيبة الإمام الطويلة جزءاً من هذا التمحيص والابتلاء، فإنّ الإنسان المعتقد بوجود الإمام وانتظاره يحتاج إلى درجة عالية من الوعي والبصيرة في الدين وأهدافه، بحيث مهما تعرض للشبهات ومهما طال الأمد بغيبة الإمام فإنّ ذلك لا يؤثر على اعتقاده وموقفه. وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في العديد من الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام وإليك بعضا منها:

١- مرّ بنا في رواية أحمد بن إسحاق حينما تحدث الإمام العسكري عن غيبة الإمام المهدي عليه السلام أن أحمد قال مستفهماً: (وإنّ غيبته لتطول؟ فقال: أي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، ولا يبقى إلاّ من أخذ الله عزّ وجلّ عهده لولايتنا، وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه).

٢- في منتخب الأثر عن أمالي الشيخ المفيد بسنده عن أبي خالد الكابلي قال: قال لي علي بن الحسين: يا أبا خالد، لتأتين فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو إلاّ من أخذ الله ميثاقه، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم، ينجيهم الله من كل فتنة مظلمة)[1].

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: **(والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميزوا وتمحصوا، ثم يذهب من كل عشرة شيء، فلا يبقى منكم إلاّ الأندر، ثم تلى هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾**[2])[3].

٤- روى الكليني بإسناده عن يمان التمار قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوساً فقال لنا: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد ـ ثم قال هكذا بيده ـ فأيكم يمسك شوك القتاد بيده؟ ثم أطرق ملياً ثم قال: إنّ لصاحب هذا

---

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: ٣١٢.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي ٥: ٦٤.

الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسك بدينه[١].

ويظهر مما تقدم أنّ شدة التمحيص والمعاناة التي تواجهها أجيال البشرية تتناسب طرداً مع عظمة الهدف والغاية المستخلصة من ذلك التمحيص، فكلما كانت الغاية أهم وأعم وأخطر كانت عملية التمحيص والابتلاء أشد وأقسى، نظراً للتناسب ما بين المقدمة وذي المقدمة.

وبما أنّ دور الإمام المهدي هو الدور الأكبر والأعظم والأشمل في تاريخ البشرية وخط الهداية الربانية جاءت مظاهر التمحيص السابقة على هذا الدور أشد وأشمل وأصعب مما واجهته الفئات المؤمنة في التاريخ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة. وإليك هذه الرواية لما فيها من إشارات لطيفة في المقام:

في البحار بسنده عن سليمان بن صالح رفعه إلى أبي جعفر الباقر(ع) قال:

**(قال لي: إنّ حديثكم هذا لتشمئز منه القلوب، قلوب الرجال، فانبذوا إليهم نبذاً فمن أقرّ به فزيدوه، ومن أنكره فذروه، إنّه لابدّ من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة، حتى يسقط فيها من يشق الشعرة بشعرتين، حتى لا يبقى إلاّ نحن وشيعتنا)**[٢].

في هذه الرواية عدة إشارات مهمة. منها: إنّ الإمام(ع) أشار إلى أنّ فكرة الإمام المهدي(عج) وغيبته وانتظاره لا تستوعبها كل الأذهان، لذلك فإنّ المؤمن بهذه المسألة لا ينبغي أن يدلي بها إلى كل أحد بصورة شاملة وعميقة في دفعة واحدة؛ لأنها تعتمد على مقدمات ما لم يتقبلها الإنسان ويؤمن بها فإنه سوف لا يستوعب مسألة الإمام المهدي ووجوده وانتظار خروجه، ومن أهم ما تعتمد عليه هذه المسألة الاعتقاد بالإمامة وفهمها فهماً صحيحاً ومن منطلق قرآني، لهذا عبر الإمام عن ذلك بقوله: **(فانبذوا إليهم نبذاً، فمن أقر به فزيدوه، ومن أنكره فدعوه)** أي أنّ هذه المسألة

---

(١) الكافي ١: ٣٣٥.

(٢) البحار ٥٢: ١١٥.

تطرح على من لم يؤمن بها، فإن قبلها ابتداء طرحت عليه بصورة أعمق وأدق، وإن رفضها ابتداء ترك.

ومن لطيف الإشارات في هذه الرواية قوله عليه السلام: **(حتى يسقط فيها من يشق الشعرة بشعرتين)** وما ألطفها من إشارة إلى تأثير الفتنة على فئات المجتمع البشري حيث يسقط أمامها حتى من لديه قوة ودقة علمية إلى المستوى الذي يستطيع فيه أن يشق الشعرة إلى شعرتين بما لديه من وسائل وآليات علمية. ولعل هذه إشارة إلى مستوى التقدم العلمي في مجال العلوم الطبيعية في عصر الغيبة. إلاّ أنّ هذا التقدم العلمي لا يحصن صاحبه من السقوط والذوبان في منصهر الفتنة الشديدة والامتحان الصعب، إلاّ من حالفه التوفيق فمنّ الله عليه بعقيدة قوية ووعي عميق فاستطاع من خلال ذلك أن يكتسب المناعة والثبات أمام الشبهات والإغراءات.

# ملتقى الإمام مع النبي عيسى عليه السلام

## اختلاف الناس فيهما

١ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه).

**الرواية الثانية**

٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: (وأما من عيسى فيقال أنه مات ولم يمت).

**الرواية الثالثة**

٣ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: (وأما سنة من عيسى فاختلاف من اختلف فيه حتى قالت طائفة: ما ولد، وطائفة منهم قالت: مات، وطائفة قالت: قتل وصلب).

**الرواية الرابعة**

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: (وأما غيبة عيسى عليه السلام فإن، اليهود والنصارى اتفقت على أنه قتل، فكذبهم الله جلّ ذكره بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾. كذلك غيبة القائم فإنّ الأمّة ستنكرها لطولها. فمن قائل يهذي بأنه لم يولد، وقائل

يقـول: إنــه ولــد ومات، وقائل يمرق بقوله: إنه يتعدى إلى ثالث عشر وما عدى. وقائل يعصي الله بقوله: إنّ روح القائم تنطق في هيكل غيره).

## الرواية التاسعة

## الاختلاف في عيسى عليه السلام :

إنّ الاختلاف في شخصية النبي عيسى عليه السلام اختلاف كبير ومتشعب. قال في الميزان: (وأما ما قاله الناس في عيسى عليه السلام فإنهم وإن تشتتوا في مذاهبهم بعده واختلفوا في مسالكهم بما ربما جاوز السبعين من حيث كليات ما اختلفوا فيه وجزئيات المذاهب والآراء كثيرة جداً، لكن القرآن إنّما يهتم بما قالوا به في أمر عيسى نفسه وأمه؛ لمساسه بأساس التوحيد الذي هو الغرض الوحيد فيما يدعو إليه القرآن الكريم والدين الفطري القويم، وأمّا بعض الجزئيات كمسألة التحريف ومسألة التفدية فلم يهتم بها ذلك الاهتمام)[1].

وأهم ما يدور حوله هذا الاختلاف في عيسى عليه السلام جهتان:

الجهة الأولى: هي حقيقة عيسى عليه السلام، فمن واقف منه موقف التفريط في حقه كموقف اليهود، حيث أنكروا نبوته وحقدوا عليه وعلى أمه إلى مستوى أن رموا أمه بالفحشاء، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقولة تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[2]. حيث أنكروا أنّ مريم عليها السلام جاءت بهذا المولود دون أن يمسها بشر، إلاّ أنّ الله تعالى برّأ ساحتها وأبان عن طهارتها من خلال البرهان الإعجازي، حيث نطق عيسى عليه السلام وهو في المهد كما حكى الله تعالى ذلك في الآيات التالية: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[3]. إلاّ أنّ اليهود أصرّوا على موقفهم وعنادهم وعدائهم لنبي الله عليه السلام وكذّبوا دعوته وحاربوه

---

(١) الميزان٣: ٢٨٣.

(٢) النساء: ١٥٦.

(٣) مريم: ٢٩- ٣٢.

وصمموا على قتله.

هـذا ملخص موقف اليهود من عيسى بن مريم عليه السلام ورأيهم فيه، وهو الذي يمثل موقف التفريط في شأن هذا النبي الكريم عليه السلام.

وأمـا موقـف الإفراط فيتمثل في موقف النصارى من المسيح عليه السلام، حيث جعلوه ابـناً لله، وقد اختلفوا أيضاً في حقيقة هذه البنوة، فكل فريق يفسرها برأي، وقد أشار القـرآن إلـى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّه﴾[١]. وما في معناه كقولـه تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾[٢]. وما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيـنَ قَـالُواْ إِنَّ اللّـهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٣]. وما في قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾[٤]. وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ﴾[٥].

فهـذه الآيـات وإن اشتملت بظاهرها على كلمات مختلفة ذوات مضامين ومعان مـتفاوتة، ولـذا ربمـا حملـت علـى اختلاف المذاهب في ذلك، كمذهب الملكانية القائليـن بالبـنوة الحقيقـية، أو النسطورية القائلين بأنّ النزول والبنوة من قبيل إشراق النور على جسم شفاف كالبلور واليعقوبية القائلين بأنه من الانقلاب وقد انقلب الإله سـبحانه لحمـاً ودمـاً. لكن الظاهر أنّ القرآن لايهتم بخصوصيات مذاهبهم المختلفة وإنّمـا يهـتم بكلمـة واحدة مشتركة بينهم جميعاً، وهي البنوة وأنّ المسيح من سنخ الإلـه سـبحانه وما يتفرع عليه من حديث التثليث، وإن اختلفوا في تفسيرها اختلافاً كثيراً وتفرقوا في المشاجرة والنزاع)[٦].

ممـا مـرّ عرفـنا ملخـص موقـف الـيهود والنصـارى من النبي عيسى عليه السلام إفراطاً

---

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) الأنبياء: ٢٦.

(٣) المائدة: ٧٢.

(٤) المائدة: ٧٣.

(٥) النساء: ١٧١.

(٦) الميزان ٣: ٢٨٢ـ ٢٨٤.

وتفريطاً، وقد ردّ القرآن هذين الموقفين وأبطلهما وأبان عن شخصية نبي الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

ويظهر من الآية أنّ خلقة عيسى عليه السلام كخلقة آدم خلقةً طبيعية كونية، وإن كانت خارقة للسنة الجارية في النسل، وهي حاجة الولد في تكوينه إلى والد[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[3].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ هو أنه كلمة (كن) التي ألقيت إلى مريم البتول لم يُعمل في تكونه الأسباب العادية كالنكاح والأب. (وروح منه) والروح من الأمر قال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[4]. ولما كان عيسى كلمة (كن) تكوينية وهي أمر فهو روح)[5] وأين هذا مما يعتقده النصارى، من أنّ عيسى ابن الله وتجسيدٌ له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الجهة الثانية: من جهتي الاختلاف الرئيسيتين في عيسى عليه السلام هي الاختلاف في قتله وصلبه، وقد اتفق اليهود والنصارى على القول بأنّ عيسى عليه السلام قتل وصلب، غير أنّ المسيحيين يزعمون أنّ المسيح قد فداهم بدمه ولذلك لقبوه بالفادي.

وأما موقف الإسلام فإنه ينفي قصة القتل والصلب من الأساس، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ

---

(١) آل عمران: ٥٩.

(٢) الميزان ٣: ١١٢.

(٣) النساء: ١٧١.

(٤) الإسراء: ٨٥.

(٥) الميزان ٥: ١٤٩.

يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِه وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1].

فالقرآن الكريم ينفي نفياً قاطعاً قصة القتل والصلب لعيسى(ع) بل شبه لهم أمره فأخذوا غيره مكانه فقتلوه وصلبوه، وهم يظنون أنه عيسى، وقد وردت روايات في ذلك أيضاً.

وأما عيسى(ع) فقد رفعه الله إليه، قال في الميزان: (وظاهر الآية أيضاً أنّ الذي ادُّعي إصابة القتل والصلب إياه وهو عيسى بشخصه البدني هو الذي رفعه الله إليه وحفظه من كيده، فقد رفع عيسى بجسمه وروحه لا أنه توفي ثم رفع روحه إليه تعالى، فهذا مما لا يحتمله ظاهر الآية بمقتضى السياق، فإنّ الإضراب الواقع في قوله ((بل رفعه الله إليه)) لا يتم بمجرد رفع الروح بعد الموت الذي يصح أن يجامع القتل والموت حتف الأنف)[2].

وأما قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[3].

فليس قوله تعالى (إني متوفيك) صريحاً في الموت، بل لأنّ التوفي أخذ الشيء أخذاً تاماً، ففي رفع عيسى إلى السماء بجسده وروحه أخذ له بتمامه. والذي يعطيه ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِه﴾ أنه حي عند الله ولن يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب، فعلى هذا فيكون توفيه أخذه من بين اليهود[4].

ويؤيد هذا المعنى الروايات الواردة في نزول عيسى(ع) عند ظهور الإمام المهدي وهي كثيرة، قال في الميزان (والروايات في نزول عيسى(ع) عند ظهور

---

(١) النساء: ١٥٧ـ ١٥٩.

(٢) الميزان ٦: ١٣٣.

(٣) آل عمران: ٥٥.

(٤) الميزان ٣: ٢٠٧.

المهدي مستفيضة من طرق أهل السنة، وكذا من طرق الشيعة عن النبي والأئمة من أهل بيته (عليهم الصلاة والسلام)[١].

وفي تفسير القمي عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج بأنّ آية في كتاب الله قد أعيتني، فقلت: أيها الأمير أيةُ آية هي؟ قال قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والله إني لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد، فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا نصراني إلاّ آمن به قبل موته ويصلّي خلف المهدي، قال: ويحك، أنى لك هذا ومن أين جئت به، فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: جئت بها والله من عين صافية[٢].

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والبيهقي في الأسماء والصفات قال:

قال رسول الله: **كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم**[٣].

## الاختلاف في الإمام المهدي عليه السلام:

إنّ الاعتقاد بفكرة المستقبل الزاهر السعيد للبشرية والذي لابد لها ـ أي البشرية ـ من الوصول إليه في مستقبل تاريخها فتتخلص مما هي فيه من المآسي من ظلم وجور وفقر ومعاناة وتعيش العدل والأمن والاستقرار والرفاه.

هذه الفكرة بمفهومها العام يشترك فيها عموم الفكر الإنساني بما فيه الفكر الديني والمادي، غير أنّ الاختلاف في تشخيص المنطلق والطريق نحو هذا المستقبل المنتظر، وما هي الآليات التي توصل إلى تلك النتيجة السعيدة، فالفكر الشيوعي ـ كنموذج للفكر المادي ـ يحمل هذه الرؤية، إلاّ أنّ الشيوعيين يرون أنّ مشكلة

---

(١) الميزان ٦: ١٤٤.

(٢) تفسير القمي ١: ١٦٥.

(٣) الميزان ٦: ١٤٤.

الإنسان على الأرض لا يمكن حلّها إلاّ من خلال الفكر الشيوعي وتطبيق النظرية الشيوعية، ويرون أنّ الإنسانية في طريقها إلى الشيوعية الكاملة وعندها يرتفع كل ما تعيشه البشرية من معاناة وشقاء ويسود حياتها العدل والأمن والرفاه.

غير أنّ الأحداث والتجارب أثبتت فشل النظرية الشيوعية وحلها لمشكلة الإنسان، لذلك نجد هذا الفكر في تراجع واضح ومستمر بدلاً من تقدمه وانتشاره وأكبر عامل لهذا التراجع كون الفكر الشيوعي يتنافى مع الفطرة الإلهية التي فطر الله الناس عليها، حيث إنّ الرؤية الكونية لهذا الفكر تنكر كافة الحقائق الدينية والغيبية بما في ذلك وجود الصانع تبارك وتعالى.

وأما الفكر الديني فإنّ فكرة المستقبل السعيد للبشرية جزء من تركيبة هذا الفكر ولا سيما الأديان الرئيسة منه، فإنّ هذه العقيدة من أوضح النقاط في هذه الأديان بغض النظر عن التفاصيل التي تشتمل عليها.

فالفكر اليهودي يحمل فكرة المستقبل الزاهر، إلاّ أنه يحصر هذه الفكرة في أمّة اليهود وأنهم لابد أن يسيطروا على العالم ويقيموا دولتهم الكبرى. ويعتبر هذا تحريفاً لما جاء في رسالة موسى عليه السلام، فإنّ اليهود قد حرّفوا (الشريعة الموسوية) تحريفاً ضخماً وفسروها تفسيراً شنيعاً، وذلك حين وضع اليهود (التلمود) كتابهم الثاني بعد التوراة ويحوي كل تعاليمهم، وفيه ركزت أهمية اليهود وارتفاعهم عن البشرية وضرورة سيطرتهم على العالم وكون المستقبل لهم، وتفضيل الإسرائيلي على غيره وإن كان يهودياً. وقد تضمن أحكاماً كثيرة لضبط هذا الجانب وتربيته في نفوسهم، مما لا يحتمل ورودها عن موسى عليه السلام ولا عن أحد من الأنبياء بعده، وإنّما هي من وضع طبقة الكهان والحاخامات أبناء المجتمع المنحرف الفاسق... إنهم حاولوا مسخ الفكرة الصحيحة في سيطرة الحق على العالم في مستقبل الإنسانية تلك الفكرة التي بشّر بها أنبياؤهم بكثرة، فجعلوا ذلك مستقبلاً لهم خاصة بما فيهم من نقاط ضعف وانحرافات.

ومن هنا نعرف أن فكرة (شعب الله المختار) وفكرة(الوعد) و(دولة اليهود العالمية التي تفيض عسلاً وسمناً) كلها انحرافات عن مناشئ صحيحة، فالشعب المختار هم المؤمنون دائماً، والوعد الإلهي موجود بالانتصار لهم دائماً، والدولة العالمية ستكون دولتهم وستكون دولة رفاه وسعادة (تفيض لبناً وعسلاً) وغيرهما من الخيرات. وأما بنو إسرائيل فقد كانوا يمثلون تطبيقاً لهذه المفاهيم حين كانوا مؤمنين، وأما حين انسلخوا عن الإيمان فقد لحقتهم لعنة الرب على ما صرحت به التوراة المتداولة نفسها وانسلخوا من كل هذه المفاهيم، وبقيت هي محافظة على نقائها وطهارتها لمن ورث الإيمان الحقيقي في أي جيل من الأجيال[1].

وأما الفكر المسيحي فإنّ فكرة المصلح ـ المخلص ـ الذي على يده يتحقق المستقبل السعيد للبشرية فكرة أصيلة في هذا الفكر، إلاّ أنهم يجسدون هذه العقيدة في شخصية المسيح عليه السلام، فهو الذي يخرج في آخر الزمان ويقود البشرية نحو العدل والسلام والرفاه. بغض النظر عن التحريفات التي أدخلت على هذه النقطة وغيرها من رسالة عيسى عليه السلام إلاّ أنّ فكرة ـ المخلص ـ في المسيحية المحرفة تلتقي في بعض زواياها مع الروايات الإسلامية الواردة عن المعصومين عليهم السلام في حق النبي عيسى عليه السلام ونزوله من السماء ليكون له دور كبير وخطير في عملية إصلاح العالم وقيام دولة الحق المهدوية العالمية، غير أنّ الروايات الإسلامية صريحة في أن عيسى عليه السلام يكون وزيراً للإمام المهدي وتحت قيادته، وأنه يصلي خلفه عليهما أفضل الصلاة والسلام.

وأما الفكر الإسلامي فإنّ من مسلماته الاعتقاد بالمهدي المنتظر الذي وعد به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهو الذي يخلص البشرية من الظلم والفساد والشقاء. والاعتقاد بهذا عند عموم المسلمين أصله الروايات المتواترة والثابتة القطعية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والتي لا يتنكر لها أو ينكرها من المسلمين إلاّ مكابر أو معاند، إلاّ

(١) اليوم الموعود:٧٣٣ـ ٧٣٤.

أنّ كل طائفة من المسلمين تجسد هذه العقيدة في شخص بعينه وتعتقد بأنه هو الإمام المهدي الموعود.

أما الأغلبية من أهل السنة والجماعة فإنهم يعتقدون أنّ المهدي الذي وعد به الرسول الأكرم هو شخص من نسل رسول الله وذرية فاطمة عليها السلام يولد في العصر الذي يخرج فيه وتتهيأ له الظروف لقيادة العالم، فيقود البشرية إلى شاطئ العدل والسلام والرفاه، وعلى يده يتحقق الوعد الإلهي وما أخبر به الرسول الأعظم ﷺ.

وأما سائر الطوائف الإسلامية فكل منها تدعي المهدوية لشخص بعينه. فالكيسانية ـ مثلا ـ تدعيها لمحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ويدعون أنه لم يمت، بل غاب في جبل من جبال ينبع اسمه جبل رضوى. وفي هذا يقول إسماعيل السيد الحميري:

ألا إنّ الأئمة من قريش هداة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هما الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبرٌّ وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يقدمه اللواء
يغيب فلا يرى منهم زماناً برضوى عنده عسل وماء

فإنما عنى بالسبط الثالث محمد بن الحنفية، إلاّ أنّ السيد الحميري تبصر فيما بعد على يد الإمام الصادق عليه السلام.

وأما الفرقة الإسماعيلية فإنهم يدعونها لإسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام وينكرون موته. وكذلك الواقفية يدعونها للإمام موسى بن جعفر عليه السلام ويقولون بأنه لم يمت.

فنلاحظ أنّ كل طائفة تجسد هذه العقيدة في شخص ما من الأشخاص، وهذا ما يؤكد أنّ هذه الفكرة ـ فكرة المهدي ـ بمفهومها العام فكرة مسلمة عند المسلمين

وثابتة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. وكل طائفة من الطوائف الإسلامية فيما إذا أرادت أن تقوي اتجاهها المذهبي استغلتها من خلال ادعائها لشخص تتبنى إمامته فتقول بمهدويته.

وأما الطائفة الأمامية الاثنا عشرية فإنّ الأدلة القطعية قامت لديهم على أنّ الإمام المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو الإمام محمد بن الإمام الحسن العسكري، وأنه ولد سنة ٢٥٥هـ في النصف من شهر شعبان في سامراء في منزل أبيه الإمام الحسن العسكري من أم معروفة، وأنه لا يزال حيّاً غائباً يخرج في اليوم الموعود. وقد شارك الإمامية في هذا عدد من علماء أهل السنة والجماعة ـ كما مرت الإشارة إلى ذلك ـ.

من خلال ما مرّ قدمنا صورة إجمالية عن الاختلاف عند الناس في حق كل من نبي الله عيسى المسيح وإمام العصر بقية الله في أرضه الإمام المهدي(عج). فقد وقع الاختلاف الكبير في كل منهما عليه السلام.

والروايات التي تحدثت عن هذه النقطة المشتركة بين السيد المسيح والإمام المهدي عليهما السلام أنّما تريد أن تؤكد الحقيقة التالية وهي: إنّ هذا الاختلاف الكبير في عيسى لا يضرّ في حقيقة وجوده وأحقية رسالته، فلا يجعله هذا الاختلاف فيه وهماً وخيالاً لا واقع له بعد ما قامت الأدلة القرآنية والتاريخية على وجوده وبعثته وصدق رسالته برغم إقحام الكثير من الأباطيل والأوهام في سيرة هذا النبي الكريم ووقوع التحريف في رسالته.

فلو كان الاختلاف من قبل الناس حول حقيقة من الحقائق دليلاً على بطلانها وعدم صدقها وعدم واقعيتها لكان وجود النبي عيسى عليه السلام وهماً وخيالاً لا حقيقة له ولا لنبوته.

فكذلك الإمام المهدي(عج) حين وقع الاختلاف فيه عليه السلام وفي حقيقة وجوده فإنّ ذلك لا يدل على عدم واقعية هذه العقيدة من أصلها.

فما أكثر الحقائق الدينية التي استغلت في حياة الناس استغلالاً سيئاً من الدجالين والوصوليين، وفي مقدمة تلك الحقائق الحقيقة الكبرى وهي وجود الخالق تبارك وتعالى ورسالاته، فكم استغلت هذه الحقائق من قبل أهل الأطماع وأهل الدجل فهل يعني ذلك أنّ هذه الحقائق لا وجود لها؟ وأنها وهم وخيال؟

وما على الإنسان العاقل المنصف والطالب للحقيقة إلاّ أن يبحث فكرة المهدي الموعود بإنصاف وتجرد على ضوء العقل والثوابت الدينية ليصل إلى النتيجة الصحيحة ويجردها من كل ما يحوطها من أوهام وخرافات.

والجدير بالذكر هنا أنّ مسألة الإمام المهدي(عج) والاعتقاد بها مسألة غيبية، بمعنى أنها من المسائل التي يكون مصدر إثباتها الوحي الذي يبلغه صاحب الرسالة عن الله تعالى. وإذا ما بحثت هذه المسألة من جوانب أخرى إنما يراد بذلك تأييد ما بلغه صاحب الرسالة من وجهة عقلية وعلمية، وردّ ما قد يثار حولها من شبهات باطلة ومردودة.

وقد بلغ صاحب الرسالة عن الله تعالى هذه المسألة بما فيه الكفاية لإثباتها وتشخيصها وبما تقوم به الحجة على الإنسان الطالب للحقيقة، وذلك عن طريق الروايات التي وصلتنا عن الرسول الأعظم ﷺ عن طريق أهل بيته المعصومين عليهم السلام والعديد من الصحابة الكرام، ويجدها المتتبع في مظانها من مصادر المسلمين وصحاحهم.

وقد أثبت سماحة الشيخ السبحاني في محاضراته ـ الإلهيات ـ إحصائية للروايات الواردة في شأن الإمام المهدي من مصادر المسلمين ولا بأس بإثباتها هنا إتماما للبحث:

| | |
|---|---|
| ١. عدد الروايات التي تبشر بظهوره عليه السلام | ٦٥٧ رواية |
| ٢. الروايات التي تصفه بأنه من أهل بيت النبي الأكرم ﷺ | ٣٨٩ رواية |
| ٣. الروايات التي تدل على أنه من أولاد علي عليه السلام | ٢١٤ رواية |

| | |
|---|---|
| ٤. الروايات التي تدل على أنه من أولاد الزهراء عليها السلام | ١٩٢ رواية |
| ٥. الروايات التي تدل على أنه من أولاد الإمام الحسين عليه السلام | ١٤٨ رواية |
| ٦. الروايات التي تدل على أنه من أولاد الإمام السجاد عليه السلام | ١٨٥ رواية |
| ٧. الروايات التي تدل على أنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام | ١٤٦ رواية |
| ٨. الروايات التي تبين أن أبا الإمام هو الحسن العسكري عليه السلام | ١٤٧ رواية |
| ٩. الروايات التي تدل على أنه يملأ العالم قسطاً وعدلاً | ١٣٢ رواية |
| ١٠. الروايات التي تدل على أنّ للإمام المهدي غيبة طويلة | ٩١ رواية |
| ١١. الروايات التي تدل على أنه يعمر عمراً طويلاً | ٣١٨ رواية |
| ١٢. الروايات التي تدل على أنّ الإسلام يعم العالم كله بعد ظهوره | ٤٧ رواية |
| ١٣. الروايات التي تدل على أنه الإمام الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام | ١٣٦ رواية |
| ١٤. الروايات الواردة حول ولادته عليه السلام | ٢١٤ رواية |

فهذه الكمية من الروايات الواردة في المقام ألا تستحق من الإنسان المنصف الرائد للحق والمتجرد للحقيقة أن يقف عندها ويبحثها بحثاً علمياً مجرداً من العصبية والأحكام المسبقة ليتضح الحق لذي عينين.

# ملتقى الإمام مع جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

## استخدام القوة ـ السيف ـ

١ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف).

**الرواية الثانية**

٢ ـ قال أبو جعفر الإمام الباقر عليه السلام: (وأما من محمد فالسيف).

**الرواية الثالثة**

٣ ـ قال أبو جعفر الإمام الباقر عليه السلام: (وأما سنة من جده المصطفى فتجريده السيف وقتله أعداء الله تعالى وأعداء رسوله والجبابرة والطواغيت، وأنه ينصر بالسيف والرعب وأنه لا يرد له راية).

**الرواية الرابعة**

٤ ـ قال الإمام الباقر(عليه السلام): (وأما من محمد فالقيام بالسيف وسيرته وتبيين آثاره).

**الرواية الخامسة**

٥ ـ قال الإمام الصادق(عليه السلام): (وأما سنة من محمد(صلى الله عليه وآله) فيهتدي بهداه ويسير بسيرته).

**الرواية الثامنة**

## سؤال يطرح نفسه:

إنّ عملية التغيير والإصلاح التي سوف يضطلع بها الإمام المهدي(عج) عملية فريدة من نوعها، وإنّ الدولة التي سوف يقيمها هذا المنقذ دولة لا نظير لها في التاريخ، حيث يجتمع لها من الخصائص الربانية ما لم يجتمع لأي دولة أخرى في تاريخ البشرية.

ونظراً لما تعيشه البشرية في العصر الراهن من سيطرة الحضارة المادية لما تملك من وسائل قوة وأسباب السيطرة وما وصلت إليه من التطور العلمي في مختلف المجالات، سواء في ذلك المجالات السلمية أو الحربية، فإنّ دول العالم اليوم ـ لا سيما الدول الكبرى ـ تملك من أنواع السلاح المتطور ما لم تعهد الأرض له مثيلاً.

وعلى ضوء ذلك يطرح هذا السؤال: ما هي الطريقة التي سوف يتخذها الإمام المهدي(عج) من أجل إصلاح العالم وفي مواجهة الباطل والاستكبار؟

والجواب يرتبط بالوقت الذي سوف يخرج فيه الإمام والعهد الذي تواكبه عملية التغيير. وبما أنّ ذلك أمر مجهول لم يعلن عنه، فلا يستطيع إنسان أن يجزم بجواب محدد، فـ(ما دمنا نجهل المرحلة ولا نعرف شيئاً عن ملابساتها وظروفها فلا يمكن التنبؤ العلمي بما سيقع في اليوم الموعود).

وكل ما يمكن في هذا المجال طرح الاحتمالات والافتراضات.

فمن الممكن طرح الاحتمال التالي: وهو إذا قُدّر للإمام أن يخرج والحضارة المعاصرة لا تزال قائمة بما تشتمل عليه من وسائل قوة وسلاح متطور فمن الجائز أنّ الإمام سيواجه الطغيان والاستكبار بنفس السلاح الموجود آنذاك، بأن يفترض وجود دولة أو دول لديها القناعة بنظرية وجود الإمام المهدي(عج) وانتظاره، فهي سوف تهبُّ لنصرته والانقياد لأمره والإذعان لقيادته فور خروجه بما تملك من قوة وإن كانت نسبية بالقياس إلى القوى التي سوف يواجهها الإمام(عج)؛ لأنه سوف يدخل في ذلك الصراع العنصر المعنوي والإمداد الغيبي، كما جاء في الروايات من

أنّ الله تعالى ينصره بالملائكة والرعب، كما عن الإمام أبي جعفر(عليه السلام) قال:

**(إنّ الملائكة الذين نصروا محمداً(صلى الله عليه وآله) يوم بدر في الأرض ما صعدوا ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر وهم خمسة آلاف)**[1].

وفي هذا المعنى روايات أخرى.

فكما دخل العنصر الغيبي في انتصارات النبي والمسلمين في واقعة بدر عن طريق نزول الملائكة، كما هو واضح من قوله تعالى: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[2].

إلاّ أنّ هذا الإمداد الغيبي يوم بدر لم يكن بديلاً عن الأسباب الطبيعية والسلاح المادي، بل بقي إيمان المسلمين وصبرهم وجهادهم وما يحملون من سلاح عادي وبسيط عنصراً أساسياً في تحقيق الانتصار في ذلك اليوم مع انضمام الإمدادات الغيبية. قال في الميزان في قوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾**: (والمعنى أنّ الإمداد بالملائكة أنّما كان لغرض البشرى واطمئنان نفوسكم، لا ليهلك بأيديهم الكفار كما يشير إليه قوله تعالى بعد: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ﴾** وبذلك يتأيد ما ذكره بعضهم: إنّ الملائكة لم ينزلوا ليقتلوا المشركين ولا قتلوا منهم أحداً، فقد قتل ثلث المقتولين منهم أو النصف علي(عليه السلام) والثلثين الباقيين أو النصف سائر المسلمين، وإنّما كان للملائكة تكثير سواد المسلمين حينما اختلطوا بالقوم وتثبيت قلوب المسلمين وإلقاء الرعب في قلوب المشركين)[3].

كذلك يمكن أن نتصور ذلك في انتصارات المهدي(عج)، حيث تنضم القوة الغيبية

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي(عج) ٣ : ٢٨٩.

(٢) الأنفال: ٩ـ ١٠.

(٣) الميزان ٩: ٢١.

إلى القوة المادية والسلاح المتوفر والمتاح في عهد الظهور- بناءً على هذا الافتراض- فيتحقق النصر لولي الله تعالى على أعدائه من المستكبرين والمنحرفين، فإذا صحّت هذه الفرضية يبرز أمامنا هذا التساؤل.

إذاً ماذا يعني تصريح الروايات التي تذكر وجه الشبه بين الإمام وجده الرسول الأعظم ﷺ وهو خروجه بالسيف. مادام الإمام سوف يستخدم السلاح الحديث المتطور بناء على الافتراض السابق.

ويمكن الجواب عن ذلك بأنّ المراد بخروجه بالسيف ليس بالضرورة أن يعني التقيد باستعمال السلاح القديم من السيف والرمح وغيرهما، وإنما الروايات تريد أن تقول: إنّ الإمام عند خروجه يستخدم قوة السلاح في مواجهة الكفر والطغيان والظلم، وبما أنّ السيف في زمن صدور هذه النصوص كان رمز القوة عبرت الروايات عن ذلك بالسيف.

فمثلما واجه الرسول الأعظم ﷺ في دعوته قوى الكفر التي تألبت للقضاء على الإسلام والوقوف أمام انتشاره واجه ذلك بقوة السلاح والجهاد، فكذلك الإمام المهدي(عج) يتبنى نفس الأُسلوب في مواجهة قوى الاستكبار والظلم، وقد صرحت الروايات أنّ حربه عليه السلام في تطهير العالم تستمر لمدة ثمانية أشهر كما جاء عن جده الشهيد الإمام الحسين عليه السلام قال:

**(ولكن صاحب الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه المكنى بعمه، يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر)**[1].

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام:

**(ثم يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر بيمينه، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزّ وجلّ. قلت: فكيف يعلم أنّ الله تعالى قد رضي؟ قال: يلقي الله في قلبه**

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي(عج) ٣: ١٨٠.

الرحمة)[١].

أي أنه يحمل السلاح ويستخدم القوة في تطهير العالم، ويخوض المعارك الجهادية بأنصاره لمدة تدوم ثمانية أشهر ويستطيع في هذه المدة أن يقضي على قوى الجور ويهدم قواعد الظلم ويمحو منابع الفساد في العالم.

ولعمري إنّ هذه الفترة ـ ثمانية أشهر ـ لتعتبر فترة قصيرة بلحاظ ما يسود العالم من مظاهر القوة المادية والوسائل البشرية، وبلحاظ شمولية الثورة المهدوية لجميع أقطار العالم. غير أنّ الله تعالى سوف يمد هذا المصلح بالإمدادات الإلهية الطبيعية وغير الطبيعية، فتتحقق الانتصارات بهذه السرعة.

هذا كله وارد ومحتمل في طريقة التغيير التي سوف يتبناها الإمام المهدي(عج).

كما يحتمل افتراض آخر في طريقة التغيير. وهو أنّ الإمام يتم ظهوره عقيب نكسة حضارية عالمية عن طريق حرب عالمية مدمرة تنشب بين أطراف القوى الإستكبارية في العالم، تأتي على إنجازات الحضارة القائمة، وبعدها يتم ظهور الإمام المهدي(عج) ليبني حضارة الإنسان الإلهية من جديد على أنقاض الحضارة المدمرة وبعد أن يقضي على بقايا الظلم والجور ويمحو ما تبقى على وجه الأرض من آثار الفساد والانحراف.

وقد أشار المفكر الكبير الشهيد السيد محمد باقر الصدر ـ قدس سره ـ إلى هذه الفرضية بقوله:(وهناك افتراض أساسي واحد بالإمكان قبوله على ضوء الأحاديث التي تحدثت عنه، والتجارب التي لوحظت في عمليات التغيير الكبرى في التاريخ؛ وهو افتراض ظهور نكسة وأزمة حضارية خانقة، وذلك الفراغ يتيح المجال للرسالة الجديدة أن تمتد، وهذه النكسة تهيئ الجو النفسي لقبولها، وليست هذه النكسة مجرد حادثة تقع صدفة في تاريخ الحضارة الإنسانية، وإنّما هي نتيجة طبيعية لتناقضات التاريخ المنقطع عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ التي لا تجد لها في نهاية

(١) إكمال الدين: ٣٢٠.

المطاف حلّاً فتشتعل النار التي لا تبقي ولا تذر، ويبرز النور في تلك اللحظة ليطفئ النار، ويقيم على الأرض عدل السماء)[١].

ولعلّ من جملة الروايات التي أومأ إليها السيد الصدر (ره) ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

**(قدام القائم موتان: موت أحمر وموت أبيض، حتى يذهب من كل سبعة خمسة الموت الأحمر السيف والموت الأبيض الطاعون)**[٢].

وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام قال:

**(لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقيل له: إذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى؟ فقال عليه السلام: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي)**[٣].

---

(١) بحث حول المهدي: ٩٠.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ٤٤٠.

(٣) البحار ٥٢: ١١٣.

# أهم خصائص
# الدولة الكريمة
## والمجتمع المهدوي

اللهم إنا نرغب إليك في
دولةٍ كريمةٍ تعز بها الإسلام
وأهله وتذل بها النفاق
وأهله، وتجعلنا فيها من
الدعاةِ إلى طاعتك والقادة
إلى سبيلك وترزقنا بها
كرامة الدنيا والآخرة.

من دعاء الافتتاح

«اللهم وصلِّ على ولي أمرك القائم المؤمل والعدل المنتظر، وحفه بملائكتك المقربين وأيده بروح القدس يارب العالمين، اللهم اجعله الداعي إلى كتابك والقائم بدينك استخلفه في الأرض كما استخلفت الذين من قبله، مكن له دينه الذي ارتضيته له، أبدله من بعد خوفه أمناً، يعبدك لا يشرك بك شيئاً، اللهم أعزه واعزز به وانصره وانتصر به وانصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً، اللهم أظهر به دينك وسنة نبيك حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق»

إنّ الدولة التي تنتظرها البشرية ووعد بها الإسلام دولة لها خصائصها ومميزاتها التي لم تجتمع لأي دولة من الدول التي عرفتها البشرية في تاريخها ومعاناتها الطويلين، ولا يستطيع الإنسان وفي مثل هذه العجالة أن يستوفي الكلام حول هذه الدولة الكريمة، إلاّ أنني ـ وعلى الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام ـ أشير ـ وبشكل مختصر ـ إلى أهمّ تلك الخصائص التي ميزت هذه الدولة عن غيرها من الدول، فأصبحت الدولة الكريمة، حيث إنّ الكريمة من أي نوع هو أفضل أفراده وأكملها فالدولة الكريمة هي أفضل وأكمل الدول التي عرفها الإنسان.

## ١- محور خصائص الدولة الكريمة:

لقد وردت روايات كثيرة عن النبي الأكرم والمعصومين من أهل بيته صلّى الله عليه وعليهم أجمعين في وصف الدولة التي سوف يقيمها الإمام المهدي(عج) وذكر خصائصها التي لم تعهدها البشرية من قبل في تاريخها الطويل.

وكل هذه الخصائص تدور حول محور واحد، وهو الهدف الأسمى لهذه الدولة والغاية النهائية لمسيرة البشرية، وهو محور العبودية التامة والحقيقية لخالق البشرية حيث يتحرر الإنسان من جميع العبوديات على اختلاف أشكالها سواء منها عبودية الإنسان لذاته وهواه، أو عبوديته لذوات أخرى خارج ذاته مما سوى الله؛ وهذه هي الحرية الحقيقية التي تليق بالإنسان لا كما ترفع شعارها حضارة الهوى والشهوات.

ولن تتحقق هذه الحرية بمعناها الكامل والحقيقي والتي تنبع من روح العبودية التامة لخالق الكون والإنسان إلاّ في ظل دولة الحق الخالص ومجتمع التوحيد الكامل. وفي الحديث عن أبي بكير قال:

(سألت أبا الحسن عن قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: نزلت في القائم، إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الزندقة والكفار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب لله، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى

لا يبقى في المشارق والمغارب إلاّ وحد الله)[١].

وفي حديث آخر عن علي بن أسباط قال:

(روى أصحابنا في قول الله عزّ وجلّ: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ قال: الملك للرحمن اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم، ولكن إذا قام القائم لم يعبد إلاّ الله عز وجل)[٢].

وتفسير الآيتين بخروج القائم وقيام دولته، أنما هو من باب الجري والتطبيق على أكمل المصاديق كما يعبر العلماء.

وإذا ما تحققت هذه الغاية العظمى وأصبحت البشرية تعيش التوحيد الكامل والعبودية التامة لله تعالى؛ فإنّ من الطبيعي أن تترتب على ذلك الآثار الكبيرة والمعطيات الجليلة، فتبرز تلك الخصائص لتلك الدولة ويعيش المجتمع البشري حينها حياة لا نظير لها في تاريخ الإنسانية.

## ٢-عناصر هيكلية الدولة الكريمة:

إنّ دولة أهل البيت عليهم السلام أنما تستمد قداستها وكرامتها من قداسة ما يتكون منه هيكلها الفريد، ويتمثل ذلك في ثلاثة عناصر رئيسة:

أ) وأهم عناصر هذه الدولة القيادة الكريمة الربانية المعصومة، لما لها من خصائص ومميزات على سائر القيادات في العالم، وبما لها من تأييدات ربانية وإمدادات إلهية، كما أُشير إلى ذلك في الدعاء المعروف ـ دعاء الافتتاح ـ:

**(اللهم وصلِّ على ولي أمرك القائم المؤمل، والعدل المنتظر، وحفه بملائكتك المقربين، وأيده بروح القدس يارب العالمين، اللهم اجعله الداعي إلى كتابك والقائم بدينك استخلفه في الأرض كما استخلفت الذين من قبله، مكن له دينه الذي ارتضيته له، أبدله من بعد خوفه أمناً، يعبدك لا يشرك بك شيئاً، اللهم أعزه واعزز به وانصره**

---

(١) منتخب الأثر: ٤٧١.

(٢) منتخب الأثر: ٤٧١.

**وانتصر به وانصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً، اللهم أظهر به دينك وسنة نبيك حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق)**[1].

فعبارات الدعاء إنما تصور مظاهر الاستخلاف والتمكين لهذه القيادة الربانية وجوانب الإمدادات الإلهية التي تحف بالإمام المنقذ عليه السلام.

ولنا أن نتصور كم هو الفرق بين القيادة الربانية المعصومة وبين سائر القيادات التي عرفتها البشرية، فمما لا شك فيه أنّ القيادة المعصومة تتميز بمواصفات لا تتوفر في غيرها من سائر القيادات، سواء ذلك في علاقة المعصوم بربه أو في علاقته بذاته ونفسه، أو في علاقته مع منصبه كحاكم وقائد أو في علاقته مع شعبه وأمته.

ولو رجعنا إلى تاريخ الحكام والقيادات في الإسلام لنبحث عن نماذج تقرب لنا الصورة كيف تكون القيادة المعصومة، فإننا سوف لا نجد ذلك إلاّ في فترتين قصيرتين، الثانية منهما أقصر من الأولى إلاّ أنهما قد قدمتا للبشرية نموذجين لا مثيل لهما في تاريخ القيادات.

الفترة الأولى: فترة تأسيس الدولة والأمّة الإسلامية بقيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حيث (لم يقدم التاريخ البشري حتى الآن حاكماً وزعيماً لدولة كمحمد صلى الله عليه وآله في إنسانيته وعدله وإخلاصه وتواضعه للناس وصبره واستقامته وشجاعته، وهذا هو سرّ العظمة في شخصية الرسول القائد، فهو في الوقت الذي تتجلّى فيه مهابة القائد وسمو الحاكم يتحلّى أيضاً بالصفات الإنسانية الأخرى، بحيث من الصعب تمييزه عن صحابته عندما كان يجلس معهم، فكثيراً ما كان الموفدون يأتون إلى مجلسه فيتفرسون الوجوه بحثاً عنه وعندما يصعب عليهم تمييزه يضطرون إلى مناداته أيكم

---

(١)

محمد ولربما صعب علينا أن نتصور إنساناً كاملاً في صفاته وأخلاقه يستطيع أن يحتفظ بصفاته كحاكم، وهو يعايش الناس كفرد بسيط يعمل معه يحرث الأرض ويزرعها يجلس على الأرض وينام عليها ويأكل عليها، يرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار، ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك في ذات الوقت من الصعب أن نتصور حاكماً يبقى محتفظاً بصفات ومقومات شخصيته كإنسان متواضع مع الناس وكأنه واحد منهم... .

وفي دار الحكومة في المسجد كان يستقبل الناس بدون حاجب ولا حرس،وكان يقول لمن حضر ليبلغ الشاهد الغائب.. أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة وكان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ولا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلاّ أجابه... .

ومن فرط عدالته حتى في الأمور الطفيفة كان يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه من النظر حتى لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه من جلسائه[1].

وكان من عدله وكرمه هذه الحادثة المنقولة عن الإمام الصادق قال عليه السلام:

**(جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد بلى ثوبه، فحمل إليه اثني عشر درهماً، فقال: يا علي خذ هذه الدراهم فاشترِ لي ثوباً ألبسه، قال علي: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً وجئت به إلى رسول الله، فنظر إليه فقال: يا علي غير هذا أحبُّ إليَّ، أترى صاحبه يقيلنا؟ فقلت: لا أدري، فقال: انظر فجئت إلى صاحبه فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كره هذا يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه، فرد عليَّ الدراهم وجئت بها إلى رسول الله، فمشى معي إلى السوق ليبتاع قميصاً فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي فقال لها رسول الله: ما شأنك؟ قالت: يا رسول الله، أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت، فلا أجسر أن أرجع إليهم فأعطاها**

(١) مفاتيح الجنان: ٢٣٤.

رسول الله أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلك، ومضى رسول الله إلى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه وحمد الله وخرج، فرأى رجلاً عريانا يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله قميصه الذي اشتراه وكساه السائل ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق فقال لها رسول الله: مالك لا تأتين أهلك؟ قالت: يا رسول الله إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني، فقال رسول الله: مري بين يدي ودليني على أهلك، فجاء رسول الله حتى وقف على باب دارهم ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام وقالوا: وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال لهم: مالكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني؟ قالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن نتكثر منه، فقال رسول الله: إنّ هذه الجارية أبطأت عليكم ولا تؤاخذوها، فقالوا يا رسول الله هي حرّة لممشاك، فقال رسول الله الحمد لله ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من هذه كسا الله بها عريانين وأعتق بها نسمة)[1].

هذه ومضة من ومضات تلك السيرة المشرقة للقيادة الربانية المعصومة قيادة الرسول الأعظم ﷺ.

وأما الفترة الثانية:

فهي الفترة التي حكم فيها أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان، فإنّا لا نجد أي اختلاف بين السيرتين إلاّ فارق الزمن. فهذا علي الحاكم والقائد يقول:

(ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أوأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّي أوأكون كما قال القائل:

---

(١) دولة الرسول: ٢٤٥ـ ٢٤٦.

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنُّ إلى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر وأكون أُسوة لهم في جشوبة العيش)[1].

وإليك هذا الموقف الذي يذكره المؤرخون:

استأذنت سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان، فأذن لها ودار بينهما حوار حول موقفها وموقف ولدها يوم صفين حتى قال لها: فما حاجتك؟ قالت: إنك أصبحت للناس سيداً، ولأمرهم متقلباً، والله سائلك من أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس البقر، ويسومنا الخسيس ويسلبنا الجليلة.

هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك، فقتل رجالي وأخذ مالي.. ولولا الطاعة لكان فينا عزٌ ومنعة، فإمّا عزلته عنا فشكرناك وإمّا لا فعرفناك.

فقال معاوية أتهدديني بقومك، لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه ينفذ فيك حكمه فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صلّى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال لها ومن ذلك: قالت علي بن أبي طالب قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك.

قالت: قدمت عليه في رجل ولاه صدقاتنا قدم علينا من قبله، وكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين. فأتيت عليا عليه السلام لأشكو إليه ما صنع، فوجدته قائماً يصلّي، فلما نظر إليّ انفتل من صلاته، ثم قال إليّ برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر فبكى ثم قال: اللهم إنك أنت الشاهد عليّ وعليهم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا

(١) دولة الرسول: ٢٥٢ـ ٢٥٣.

بـترك حقك، ثم أخرج من جيبه بقطعة جلد كهيئة طرف الجواب، فكتب فيها: بسم الله الرحمـن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط: ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. ﴿بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِـينَ وَمَـا أَنَـا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾. إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام.

فأخذتـه مـنه، والله مـا ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته، فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان، فبطيئاً ما تفطمون، ثم قال: اكتبوا لها برد مالهـا والعـدل عليها، قالت: إليّ خاص أو لقومي عام؟ قال: ما أنت وقومك؟ قالت: هـي والله الفحشـاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلاّ فأنا كسائر قومي، قال: اكتبوا لها ولقومها)[1].

هكذا يحدثنا التاريخ عن سيرة هذين القائدين الربانيين ـ رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ـ فأنت لا تجد فرقاً يذكر بين السيرتين في جوهرهما، حيث لا فرق بين القيادتين في الملكات والخصائص ما عدا خصيصة الرسالة في شخص الرسول الأعظم ﷺ.

وبهذا يمكن لنا أن نتصور كيف تكون سيرة الإمام المهدي(عج) الذي سوف يحيي سـيرة جدّيـه الرسـول الأعظـم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام. فعن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه عن الإمام (عج) وما فيه من وجوه الشبه من جده رسول الله:

**(وأما سنة من محمد ﷺ فيهتدي بهداه ويسير بسيرته) وفي رواية أخرى: (وأما من محمد فالقيام بالسيف وسيرته وتبيين آثاره).**

وعن حماد بن عثمان قال:

(حضـرت أبـا عـبد الله وقـال له رجـل: أصـلحك الله ذكـرت أنّ علـي بن أبي

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٧١ـ ٧٢.

طالب(عليه السلام) كان يلبس الخشن كان يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجديد، فقال له: إنّ علي بن أبي طالب كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر عليه، ولو لبس مثل ذلك اليوم شهر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا أهل البيت إذا قام لبس ثياب علي(عليه السلام) وسار بسيرته)[١].

ب) العنصر الثاني في هيكلية هذه الدولة يتمثل في سائر القيادات التي تنضوي تحت قيادة الإمام (عج)، وهم الذين ورد في الروايات أنّ عددهم ثلاث مئة وثلاثة عشر ولا شك أنّ هؤلاء يمثلون القمة في مستوى الإيمان والوعي والإخلاص والكفاءة القيادية في جهاز دولة الإمام(عج) وهم الذين سوف يديرون دفة الحكم في العالم تحت قيادة الإمام(عج).

فعن أبي بصير عن أبي عبد الله في حديث طويل ذكر فيه عدة أصحابه(عليه السلام) من البلاد على التفصيل، قال أبو بصير:

(جعلت فداك ليس على الأرض مؤمن غيرهم؟ قال: بلى ولكن هذه التي يخرج الله فيها القائم وهم النجباء والقضاة والحكام والفقهاء في الدين يمسح الله بطونهم وظهورهم، فلا يشتبه عليهم حكم)[٢].

وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال:

**(ألا وإن المهدي أحسن الناس خلقاً وخلقاً. ثم إذا قام يجتمع إليه أصحابه على عدة أهل بدر، وهم ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، كأنهم ليوث قد خرجوا من غاباتهم مثل زبر الحديد، لو أنهم هموا بإزالة الجبال الرواسي لأزالوها عن مواضعها، فهم الذين وحدوا الله حق توحيده، لهم بالليل أصوات كأصوات الثواكل خوفاً وخشية من الله تعالى، قوام الليل صوام النهار كأنّما رباهم أب واحد وأم واحدة، قلوبهم مجتمعة بالمحبة والنصيحة.. ألا وإني أعرف أسماءهم وأمصارهم)**[٣].

---

(١) موسوعة الإمام علي(عليه السلام) ٨: ٣٦٤ـ ٣٦٦.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي(عج) ٤: ٦٣.

(٣) إلزام الناصب ٢: ٢٠٠.

فهذه النعوت تذكرها الروايات لأصحاب الإمام عليه السلام تجعلهم في أعلى المراتب من الإيمان والقوة والتفاني في الله والمستوى العلمي الذي يؤهلهم لمناصب القيادة السياسية والعسكرية في عملية التغيير وإصلاح العالم وإدارة دفة الحكم في الدولة الكريمة وإحياء الحضارة الإسلامية الإلهية.

ج) أما العنصر الثالث في هيكلية دولة الإمام عليه السلام فإنه يتمثل في القانون الرباني الذي تحكم به هذه الدولة المستمد من كتاب الله الحكيم والسنة المطهرة.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام:

**(إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد، كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)**[1].

وعن عبدالله ابن عطاء قال:

(سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام فقلت: إذا قام القائم عليه السلام بأي سيرة يسير في الناس؟ فقال: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله ويستأنف الإسلام جديداً )[2].

فالإمام المهدي(عج) سوف يستأنف الإسلام، بمعنى أنه سوف يطبقه كما أنزل على جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مجرداً عن الاجتهادات والتحريفات التي أدخلت عليه وأضيفت إليه، حيث يكون تطبيق الإسلام في دولة الإمام جديداً على الناس؛ لأنه سوف يهدم كل ما سبقه من تطبيقات وأحكام منحرفة عن حقيقة الإسلام الصحيح وإن كانت تحمل اسم الإسلام وعنوانه.

فهذا القانون الإلهي يمثل العنصر الثالث من هيكل الدولة المهدوية، وبهذه العناصر الثلاثة السابقة الذكر تتميز هذه الدولة عن بقية الدول التي عرفتها الأرض.

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ٣١٩.

(٢) نفس المصدر.

## ٣-آخر الدول:

من سمات هذه الدولة وخصائصها كونها آخر الدول في التاريخ البشري، حيث تبقى البشرية قبل قيام هذه الدولة تجرب أنواع الحكم، وتطبق مختلف القوانين بحثاً عن الحياة السعيدة، وعن القانون العادل المثالي ونوع الحكم الذي يستطيع حل مشكلة الإنسان على وجه الأرض. ولا تزال البشرية تعاني من هذه التجارب التي كان حقل التجربة فيها هو الإنسان، وهذه هي شعوب الأرض لا تزال تدفع الثمن من الدماء والأموال والأعراض والكرامات والأمن والراحة. فكل جهة أو حزب أو فرد يريد الوصول إلى السلطة والحكم، رفع للناس لافتات خادعة وعرضاً مغرياً يمني الناس ويوعدهم بالحياة الهنيئة الحرة الكريمة في ظل حكمه ونظامه، وبأنه سوف يجعل الأرض لهم جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيصفق له الناس، حتى إذا وصل إلى مركز القيادة والنفوذ لم يجد الناس منه إلاّ الجور والاستبداد والإثرة والحرمان.. وهكذا فإنّ جميع التجارب التي مرت بها البشرية أثبتت فيها الأحداث وسوف تثبت مستقبلاً فشل جميع الحلول التي يختارها الإنسان لنفسه، وعدم قدرة القوانين التي يضعها بنفسه على حل تناقضات حياته وسلبياتها، حتى تصل البشرية إلى حالة من اليأس من جميع القوانين وكافة أنواع الحكم، وبهذا تصبح الذهنية البشرية العامة مهيأة ـ لاشعورياً ـ لتقبل النظام الإلهي والدولة المهدوية، لأنّها قد جربت كافة الحلول الأرضية ولم يبق لها إلاّ حل السماء.

في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

**(... إنّ دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا؛ لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[1]).

---

(١) منتخب الأثر: ٣٠٨.

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

**(ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلاّ وقد وُلّوا على الناس، حتى لا يقول قائل: إنّا لو وُلينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل).**

وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول:

**(لكل أناس دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر)**[1].

ولا يعني ذلك أن يكون الحكم في دولة أهل البيت عليهم السلام من نوع الحكم القبلي أو الطائفي أو الحزبي أو أي عنوان آخر من هذه العناوين التي عرفتها أو سوف تعرفها البشرية قبل قيام دولة أهل البيت، بل إنّ هذا الحكم فريد من نوعه، ولم تعهد له البشرية مثيلاً، حيث سوف ينصهر فيه جميع أصناف البشر على اختلاف عناصرهم وألوانهم وبيئاتهم، فلا عنصرية ولا طائفية ولا حزبية ولا طبقية في دائرة هذا الحكم. وفي ظل هذه الدولة يتحقق المبدأ القرآني في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[2].

وتزول كل الفوارق العرقية والقبلية والطبقية التي طالما لقيت البشرية منها مختلف المآسي والمعاناة المرّة وتحكم حياة الناس المبادئ الإلهية التي تحفظ لكل إنسان كرامته مهما كان لونه أو لغته.

## ٤-العدل والرفاه الاقتصادي:

إنّ من أهم المفاهيم التي تتوق إليها النفوس وتهفو إليها القلوب هو مفهوم العدل، فهو محبب إلى كل قلب ومعشوق للفطرة الإنسانية، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ٤٢٦.

(٢) الحجرات: ١٣.

**(العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن)** وفي آخر: **(العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك)**[١].

لذلك نرى كل فرد من أفراد البشر وكل مجتمع من المجتمعات البشرية يعجبها أن تنتسب إلى هذا المفهوم ولو زوراً ودعوى كاذبة، ولا يرضى أحد من الناس أن يوصف بالخروج عن العدل ويوسم بالظلم، ولو كان أظلم مَنْ تحت السماء، وما ذاك إلاّ لأنّ العدل فضيلة، بل هو عماد كل الفضائل، ولأنه الأساس والقاعدة لكل حياة إنسانية كريمة، بل كما في الحديث:

**(بالعدل قامت السماوات والأرض)**[٢].

ولهذا نرى أيضاً أنّ الاعتقاد بالعدل الإلهي يمثل موقعاً متميزاً من بين سائر الصفات الإلهية، لاسيما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، حيث جعلت الاعتقاد بعدل الله أصلاً من أصول الدين، وذلك لاعتبارات متعددة، منها:

أ) لأنّ الكثير من صفات الفعل الإلهي تعود بالحقيقة إلى أصل العدل، فمثلاً: حكمة الله ورازقيته ورحمانيته ورحيميته جميعاً واقعة في ظل عدالته. وبالأساس إنّ العدالة بمفهومها الحقيقي الواسع ـ أي وضع كل شيء في محلّه المناسب ـ تشمل جميع الصفات الفعلية، والأهم من الجميع هو أنّ مسألة المعاد ومالكية الله ليوم الدين تنشأ بالحقيقة من عدالته سبحانه، وهذه الخصوصية تستلزم الالتفات إلى هذا الأصل بصورة مستقلة[٣].

ب) لأنّ للعدل أثراً على حياة الإنسان المعتقد بهذا الأصل، لأنّ له (مفهوم واسع بحيث يشمل كلّاً من العدالة العقائدية والعدالة الأخلاقية والعدالة الاجتماعية وبذلك ينعكس من مسألة العدل الإلهي نور على الملكات الأخلاقية الإنسانية وعلى كافة

---

(١) البحار ٧٢: ٣٦.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٦٣٨.

(٣) نفحات القرآن ٤: ٤٤٨ـ ٤٤٩.

القوانين الاجتماعية)[١].

فحري بمن يشكل العدل والاعتقاد به ركيزة أساسية من ركائز عقيدته وتفكيره أن يتبنى العدل في حياته والعمل به والدعوة إليه، لذا فإنّ مسؤولية العدل والسير على منهجه مسؤولية خطيرة من العباد أمام الخالق العدل المطلق، ولاسيما من يتسنم موقع القيادة والحكم. ورد عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال:

**(عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها، وجور ساعة أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة)**[٢].

من أبرز خصائص الدوله الكريمه تطبيقها للعدل الإلهي في الأرض، حيث لا مجال لبروز أي ظاهرة للظلم الفردي أو الاجتماعي، لأنّ الإمام عليه السلام سوف يملأ الأرض ـ كل الأرض ـ قسطاً وعدلاً بعدما تملأ ظلماً وجوراً، فعن الإمام الحسين عليه السلام قال:

**(... إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر)**[٣].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

**(... وهو الذي يغيب مدة طويلة ثم يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً)**[٤].

وتصور بعض الروايات بعض جوانب حاكمية العدل في دولة الإمام وشموليته حيث إنّ النظام العادل والدقيق سوف يشمل جميع مرافق الحياة ومظاهرها، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

**(أول ما يُظهر القائم من العدل أن ينادي مناديه أن يسلم صاحب النافلة لصاحب**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نفحات القرآن ٤: ٤٥٤.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ١٨١.

(٤) المصدر السابق.

**الفريضة الحجر الأسود والطواف)**[١].

ولعلّ هذه إشارة إلى أنّ الإمام المهدي(عج) سوف ينظم شعيرة الحج وحركة الحجاج في المشاعر المقدسة، بحيث لا يجور أحد على أحد، ويكون جزءاً من هذا التنظيم أن يلزم من يطوف طوافاً مستحباً بأن يفسح المجال لمن يطوف طوافاً واجباً، ولا يضايقه في ساحة الطواف أو في استلام الحجر الأسود.

وفي حديث آخر عن الإمام موسى بن جعفر(ع) قال:

**(إذا قام قائمنا(ع) قال: يا معشر الفرسان سيروا في وسط الطريق. يا معشر الرجال سيروا على جنبي الطريق، فأيما فارس أخذ على جنبي الطريق فأصاب رجلاً عيباً ألزمناه الدية، وأيما رجل أخذ في وسط الطريق فأصابه عيب فلا دية له)**[٢].

ولا يبعد أن تكون هذه إشارة إلى تنظيم المرور وحركة الطرق في دولة الإمام مما يدلل على أنه لا تبقى جهة من جهات الحياة إلاّ ويوضع لها نظامها الدقيق والمتقن والصارم، مما يجعل الحياة حياة منظمة يسودها العدل والانسجام.

وأما الرفاه الاقتصادي: فإنّ البشرية سوف تعيش ـ في ظل الدولة الكريمة وعدلها الشامل ـ مستوى من الرفاه من المعيشة منقطع النظير، بحيث تغيب ظاهرة الفقر والحاجة من المجتمع لعدم وجود الأسباب التي تؤدي إلى وجود هذه الظاهرة، لأنّ الفقر والحاجة أنما توجد في أي مجتمع ـ غالباً ـ لوجود سببين رئيسين وهما:

أ) قلة الإنتاج: وهو عدم استثمار خيرات الطبيعة التي أودعها الله فيها.

ب) سوء التوزيع: وهو عدم العدالة في توزيع الثروة على أفراد الأمة.

فمتى ما وجد هذان العاملان في أي مجتمع فإنّ وجود الفقر هو النتيجة الطبيعية لهما، كما أكد أمير المؤمنين(ع) بكلماته الخالدة حين قال:

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ٤: ٦٤.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ٤: ١٣٦.

(فما جاع فقير إلاّ بما متع به غني)[١].

وبهذا تتكون الطبقية الممقوتة في المجتمع، بأن ينقسم المجتمع إلى طبقتين رئيستين: طبقة تعيش الترف والبذخ، وطبقة تعيش الفقر والفاقة.

أما في دولة الإمام القائم، فلا وجود لهذه الطبقية ولا وجود لظاهرة الفقر، لأنّ البديل عن قلة الإنتاج هو كثرة الإنتاج، حيث تجود الطبيعة بخيراتها وإنتاجها والبديل لسوء التوزيع هو العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة.

وهذا ما أكدت عليه الروايات التي تصور الحياة الاقتصادية في دولة الإمام عليه السلام،فعن جابر أنه قال:

(دخل رجل على أبي جعفر الباقر عليه السلام، فقال له: عافاك الله، اقبض مني هذه الخمسمئة درهم، فإنها زكاة مالي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: خذها أنت فضعها في جيرانك من أهل الإسلام والمساكين من إخوانك المؤمنين. ثم قال: إذا قام قائم أهل البيت(عج)، قسم بالسوية وعدل في الرعية، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وإنّما سمي المهدي مهدياً؛ لأنه يهدي إلى أمر خفي ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عزّ وجلّ من غار بأنطاكيا، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن. وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرم الله عزّ وجلّ فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً كما ملأت ظلماً وجوراً وشراً)[٢].

## ٥-الأمن والاستقرار الشاملان:

إنّ كل ظاهرة سيئة تبرز في المجتمع البشري إنما منشؤها انحرافات الإنسان الفكرية والنفسية، فانحراف الإنسان وعدم صلاحه هي المنبع لكل سلوك سيئ في

---

(١) نهج البلاغة(تحقيق محمد أبو الفضل) ٢: ٣٨٢ حكمة ٣٣٤.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ٣٢٢.

حياة الفرد والمجتمع.

لذلك متى ما صلح الإنسان في داخله، فإنّ جميع التناقضات البارزة في حياته سوف تزول وتغيب عن حياة المجتمع كافة السلبيات ومظاهر الانحراف والفساد في السلوك والعلاقات الاجتماعية، ويعم الأمن والاستقرار حياة الناس وتغيب مظاهر الظلم والتعدي والعنف والخوف.

فعلى هذا فإنّ مشكلة المشاكل هو الإنسان، فمتى ما صلح صلح كل شيء، ومتى ما فسد وانحرف انحرف كل شيء في الحياة، وهذه سنة من سنن الله تعالى يقررها القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

فالقاعدة في التغيير الاجتماعي هو وجود الإنسان الداخلي ـ الفكري والنفسي ـ فإذا تغير الداخل إلى الأحسن تغيرت الحياة الاجتماعية الى الأفضل، وكذلك العكس، فمتى تغير الإنسان في داخله إلى الأسوأ فإنّ آثار ذلك سوف تبرز على حياته الاجتماعية وعلاقته مع بني نوعه، وعلى علاقاته مع جميع مرافق الحياة.

وبما أنّ الدولة المهدوية سوف توفر جميع عوامل الصلاح والإصلاح للإنسان فيصبح المجتمع أو الأغلبية الساحقة منه تعيش درجة عالية من الوعي والاستقامة والصلاح إلى جانب العدل وصرامة القانون. فإنّ من الطبيعي أن يعيش الناس الأمن فيما بينهم، فيسود حياتهم الصفاء والأمن والاستقرار الشامل، فلا يخشى أحد من أحد ظلماً أو تعدياً أو غدراً أو خيانة؛ لأنّ المجتمع أصبح مجتمعاً عادلاً في ظل دولة عادلة.

وتصرح بعض الروايات بأنّ الأمن والأمان والوئام لا يتم فقط بين بني البشر، بل يتم ذلك بين الإنسان والحيوان وبين أنواع الحيوان أيضاً، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام:

**(... ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء مطراً، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت**

---

(١)

**الشحناء من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدمها إلاّ على النبات وعلى رأسها زيتها، لا يهيجها سبع ولا تخافه..)**[١].

ومصالحة السباع والبهائم إمّا أن تكون كناية عن انتشار الأمن والأمان وارتفاع الخوف عن الناس. أو أن يكون على وجه الحقيقة، فيكون من خصائص هذه الدولة الربانية التي هي بحدّ ذاتها وبكل خصائصها خارجة عن المألوف، والله العالم بحقائق الأمور.

## ٦- التطور العلمي وتكامل الوعي البشري:

من أهم عناصر التقدم في حياة البشرية التقدم العلمي وتكامل الوعي لدى بني الإنسان، فإنّ الجهل قرين التخلف والتدهور الاجتماعي بكل أشكاله، وحيث إنّ الدولة المهدوية العالمية تمثل قمة التكامل وذروة التقدم البشري. فمن الطبيعي أن يكون تكاملها شاملاً لكل أبعاد وجود الإنسان بما في ذلك التقدم العلمي والتكامل في وعي البشرية؛ لأنّ المجتمع البشري سوف يتربى في مدرسة السماء وفي ظل دولة الحق تربية ربانية لا نظير لها، وتتفتح أمام العقل البشري مختلف المجالات العلمية التي لم يُعهد لها مثيل في تاريخ الإنسان.

عن الإمام الصادق قال: **(العلم سبعة وعشرون جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الجزئين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً، فبثها في الناس وضم إليها الجزئين حتى يبثها سبعة وعشرين جزءاً)**[٢].

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: **(إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس**

---

(١) منتخب الأثر: ٤٧٤.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ٤: ٢٥٥.

العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم)[١].

وفي آخر عنه عليه السلام: (... وتؤتون الحكمة في زمانه، حتى إنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله)[٢].

ومن الممكن أن يكون هذا المستوى من التقدّم والتكامل الفكري في حياة البشرية في دولة الإمام إنما يتحقق من خلال الوسائل الطبيعية، وهي أنّ من أهم مرافق الدولة القوة الإعلامية ووسائل التربية والتعليم والثقافة، حيث توجه فئات المجتمع عن طريق هذه القوة ويكوّن الرأي العام من خلال هذه الوسائل، فمتى ما توحدت الوسيلة الإعلامية والتربوية والتعليمية والثقافية وأصبحت تصبُّ في مصبّ واحد وتعمل من أجل هدف واحد بحيث لا يتلقى الفرد والمجتمع إلاّ ما يبني عقله وديـنه وخلقـه؛ لأنّ العـالم سـوف يصبح في ظل دولة الإمام محكوماً بدولة واحدة ونظـام ربانـي واحـد، فلا توجد في العالم وسيلة تلقي إلاّ ما ينسجم مع هدف هذه الدولة.

فإذا تم ذلك: فمن البديهي ان تنمو العقول والأفكار نموّاً سليماً وتتكامل وتسير في الاتجاه الذي يريده الله تعالى لها ويصبح الفرد ـ من الجنسين ـ مستوعباً للأحكام والقوانين الإلهية التي يدير بها حياته بنفسه إلى المستوى الذي تصبح المرأة على مستوى الاكتفاء الذاتي فيما يرجع إلى معرفتها بعقيدتها وشريعتها، فهي تدير حياتها سواء كان في داخل بيتها أو خارجه طبق القوانين الإلهية النازلة من السماء.

علـى خلاف ما نشاهده من وضع المرأة في عصر ما قبل الظهور، حيث أصبحت المـرأة المسـلمة فـي العالم الإسلامي تعيش بين التخلف والانحراف بسبب انحسار الإسـلام عـن حياة المجتمعات الإسلامية، وعندما سيطر الاستعمار في القرن الأخير علـى بـلاد المسـلمين وأسـس المؤسسات التعليمية التي يريدها للمسلمين وقعت

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ٣٢٥.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ٣٢٤.

المرأة المسلمة بين محذورين:

الأول: محذور التخلف والجهل وانعدام الوعي لدينها وشؤون حياتها، وذلك عندما تمتنع عن الانخراط في هذه المؤسسات التعليمية، حيث لا يوجد بديل عن هذه المؤسسات ينهض بالمرأة عن هذا التخلف.

الثاني: محذور الانخراط في هذه المؤسسات التعليمية الحديثة، حيث لا يوجد في مقرراتها وأنظمتها شيء من الإسلام إلاّ أموراً هامشية لاتسمن ولا تغني من جوع، وإنها إن أخذت بهذا الخيار ـ وهو ما حصل بالفعل ـ فإنه يشكل خطراً على شخصيتها ونتيجة ذلك هي مسخ شخصيتها الإسلامية وابتعادها عن إسلامها كما هو الحاصل في العالم الإسلامي، فلم يعد للمرأة المسلمة من الإسلام في أغلب المجتمعات الإسلامية إلاّ الهوية الرسمية.

وأما في ظل الدولة فإنّ المرأة سوف تجد المجال مفتوحاً لتنهل من منابع العلم والمعرفة الى جانب الحفاظ على شخصيتها الإسلامية وترتقي في مدارج الكمال إلى المستوى الذي تصدره الروايات بأنها تقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولا يتم ذلك إلاّ إذا أصبح المجتمع يعيش درجة عالية من الوعي للدين وأحكامه وأهدافه وفلسفته. فعلى هذا يكون معنى ما ورد في الحديث: أن يضع الله تبارك وتعالى يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم أنما يعني سيطرة الرسالة الإلهية وهيمنتها على جميع مصادر الثقافة والتعليم والتربية. يضاف إلى ذلك العناية الربانية الخاصة من قبل الخالق تعالى بعباده نتيجة سيرهم على منهجه ودينه بلا أي انحراف أو تخلف عن عبادته تبارك وتعالى. وهذه ـ أعني عبادة الله تعالى ـ هي القاعدة التي تنطلق منها هذه الدولة الكريمة ويبني المجتمع المهدوي عليها حياته وعلاقاته، وما هذه الخصائص التي تتميز بها هذه الدولة والمظاهر الاجتماعية والأخلاقية التي يتحلّى بها المجتمع المهدوي، إلاّ آثار ونتائج

لذلك المقام العبودي الذي تعيشه الدولة ويعيشه المجتمع البشري في ظلها.

من خلال ما تقدّم أخذنا صورة تقريبية عن بعض خصائص الدولة الكريمة والمجتمع المهدوي، كما أخذنا لمحات عن جهات الشبه بين الإمام المهدي المنتظر(عج) وعدد من أنبياء الله ورسله(عليهم السلام). نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعيش في ظل دولته(عليه السلام) وأن يمن علينا بالنظر إلى وجهه الكريم، وأن يجعلنا من المقبولين لديه.

(اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك، فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني).

والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

# المصادر


| الكتاب | المؤلف |
| --- | --- |
| القرآن الكريم | |
| الميزان في تفسير القرآن | السيد محمد حسين الطباطبائي |
| تفسير القمي | علي بن إبراهيم القمي |
| تفسير الصافي | الفيض الكاشاني |
| نفحات القرآن | الشيخ ناصر مكارم الشيرازي |
| إعلام الورى | الشيخ الطبرسي |
| بحار الأنوار | الشيخ المجلسي |
| تاريخ الغيبة الصغرى | السيد محمد صادق الصدر |
| تاريخ الغيبة الكبرى | السيد محمد صادق الصدر |
| الانحرافات الكبرى | سعيد أيوب |
| منتخب الأثر | الشيخ لطف الله الصافي |
| الأنبياء حياتهم. قصصهم | عبد الصاحب العاملي |
| بحث حول المهدي | السيد محمد باقر الصدر |
| مفاتيح الجنان | الشيخ عباس القمي |
| معجم أحاديث الإمام المهدي | إشراف الشيخ علي الكوراني |
| الكافي | الشيخ الكليني |
| اليوم الموعود | السيد محمد صادق الصدر |
| دولة الرسول | السيد محسن الموسوي |
| نهج البلاغة | من جمع الشريف الرضي |
| موسوعة الإمام على | الشيخ الري شهري |

## الفهرس


مقدمة وتمهيد ..... ٩

نماذج من الروايات: ..... ١٣

كلمة حول هذه الروايات: ..... ١٨

حقيقتان أكدت عليهما هذه الروايات: ..... ٢١

### ملتقى الإمام مع النبي موسى عليه السلام

الرواية السادسة ..... ٢٥

الرواية الرابعة ..... ٢٥

الرواية التاسعة ..... ٢٦

١- ولادة موسى عليه السلام وظروفها: ..... ٢٧

٢- ولادة الإمام المهدي (عج) وظروفها: ..... ٣١

٣- ما بعد الولادة: ..... ٣٥

١- إكمال الدين بسنده عن أبي جعفر العمري ..... ٣٧

٢- روى الشيخ الصدوق بسنده عن يعقوب ابن منقوش ..... ٣٨

٣- روى الشيخ الصدوق (ره) بسنده عن أحمد بن إسحاق الأشعري ..... ٣٨

٤- إكمال الدين بسنده عن معاوية بن حكيم: ..... ٣٩

### ملتقى الإمام مع يوسف الصديق وموسى الكليم عليهما السلام

الشبه في الغيبة ..... ٤٣

الرواية العاشرة ..... ٤٣

الرواية الرابعة ..... ٤٣

الرواية السابعة ..... ٤٥

معنى الغَيْبَة: ..... ٤٧
النموذج الأول: نبي الله يوسف(عليه السلام) ..... ٤٨
النموذج الثاني: نبي الله موسى(عليه السلام) ..... ٤٨

## الملتقى الثاني مع موسى الكليم(عليه السلام)

الرواية الثانية ..... ٥١
الرواية الثالثة ..... ٥١
الرواية الرابعة ..... ٥١
غيبة موسى(عليه السلام): ..... ٥٣
غيبة الإمام(عج): ..... ٥٦

## ملتقى الإمام مع نوح النبي(عليه السلام)

الرواية الثانية ..... ٦١
الرواية التاسعة ..... ٦٢
الجانب الأول: ..... ٦٣
الجانب الثاني: ..... ٦٣
١. طول العمر: ..... ٦٣
٢. شدة التمحيص وطول أمده: ..... ٦٦
تمحيص ما قبل يوم الظهور: ..... ٦٩

## ملتقى الإمام مع النبي عيسى(عليه السلام)

الرواية الثانية ..... ٧٧
الرواية الثالثة ..... ٧٧

الرواية الرابعة ..... ٧٧
الرواية التاسعة ..... ٧٨
الاختلاف في عيسى عليه السلام : ..... ٧٩
الاختلاف في الإمام المهدي عليه السلام : ..... ٨٣

## ملتقى الامام مع جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

الرواية الثانية ..... ٩١
الرواية الثالثة ..... ٩١
الرواية الرابعة ..... ٩١
الرواية الخامسة ..... ٩١
الرواية الثامنة ..... ٩٢
سؤال يطرح نفسه : ..... ٩٣

## اهم خصائص الدولة الكريمة

١- محور خصائص الدولة الكريمة : ..... ١٠٣
٢- عناصر هيكلية الدولة الكريمة : ..... ١٠٤
٣- آخر الدول : ..... ١١٢
٤- العدل والرفاه الاقتصادي : ..... ١١٣
٥- الأمن والاستقرار الشاملان : ..... ١١٧
٦- التطور العلمي وتكامل الوعي البشري : ..... ١١٩
المصادر ..... ١٢٣
الفهرس ..... ١٢٥